أشراط الساعة الصغرى
الظاهرة
والمستمرة في السنة النبوية

إعداد

الدكتور محمد عبد الرزاق أسود

الأستاذ المشارك في السنة النبوية وعلومها

في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

بالدمام بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن العلماء المخلصين إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من ينظر في أحوال الناس في هذا العصر لا يسعه إلا القول بضرورة نشر أحاديث أشراط الساعة، لأن الناس أحوج ما يكونون إلى معرفتها والاعتبار بها؛ بما يقضي على الحرص الشديد وطول الأمل في الحياة الدنيا، وتحث على الاستعداد للقدوم على الآخرة، والإقلال من متاع الحياة الدنيا، وإنني أرجو أن أكون قد أضفت جهدًا علميًا يفيد المسلمين؛ وينير لهم ما أظلم من حياتهم؛ وينهض بهم نحو الرقي والتمكين؛ ويسهم في زيادة علمهم بأحاديث أشراط الساعة عامة.

وقد رأيت أنه من المهم أن أجمع في هذا البحث السنن الواردة في أشراط الساعة؛ وخاصة الصغرى التي ظهرت منذ أمد بعيد وما زالت موجودة في زماننا وهي بازدياد، وسميته:" أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية"؛ لكي يأخذ الناس وصايا النبي ﷺ كوقاية وحل لما دهمهم ووقع بهم من فتن وأهوال في الدنيا والدين؛ وفي مقدمتها ضعف الإيمان؛ وقصر الهمم عن التقوى والصلاح، وحصرها في الدنيا وملذاتها وشهواتها.

- **أهمية البحث:** تتبين في الأمور الآتية:

١- إن حرص النبي ﷺ على بيان أشراط الساعة الصغرى؛ دليل على أهمية هذا الموضوع وجلل خطره.

٢- ضرورة الاستفادة من فقه أشراط الساعة الصغرى، وفهم الأحاديث النبوية المتصلة بها، ومعرفة مدلولاتها.

٣- حاجة الناس لمعرفة أشراط الساعة الصغرى، بما يسهم في توجيه سلوكهم إلى سبيل الخير، والاستعداد ليوم المعاد.

٤- إن ظهور بعض أشراط الساعة الصغرى في كل عصر ومصر؛ يجعل دراستها في ضوء السنة النبوية أمرًا بالغ الأهمية.

- أسباب اختيار البحث: تظهر في الأمور الآتية:

١- معرفة أشراط الساعة؛ وعلاماتها، ومقدماتها، وأحوالها، وأزمانها، وأماكنها، وأناسيها، وأهدافها، وتكوين صورة واضحة ودقيقة وصحيحة عنها لدى عامة الناس.

٢- أن فيه دعوة للتأهب لما بعد الموت؛ إذ أن ظهور أكثر أشراط الساعة الصغرى دليل على قرب قيام الساعة، وفيه دعوة للعمل الصالح قبل مداهمة هذه الحوادث العظام.

٣- أن في هذا الموضوع دعوة للإيمان بالغيب، فأحاديث أشراط الساعة الصغرى إخبار بأمور غيبية مستقبلية، أخبر بها الصادق المصدوق ﷺ.

٤- غفلة كثير من الناس عن أشراط الساعة الصغرى.

- مشكلة البحث: تكمن في الآتي:

١- تبيين أشراط الساعة الصغرى الواردة في الأحاديث النبوية.

٢- معرفة حكم وأقوال علماء الحديث النبوي المتقدمين والمتأخرين في أحاديث أشراط الساعة الصغرى ومعانيها.

٣- الدروس والعظات المستخلصة من أحاديث أشراط الساعة الصغرى.

- **أهداف البحث:** أهمها ما يلي:

١- تأصيل مصطلحات البحث الأساسية.

٢- تبصير المسلمين بأشراط الساعة الصغرى، حتى يعرفونها بمجرد وقوعها.

٣- تحذير المسلمين من الوقوع بالشرور التي ستقع؛ وهي من أشراط الساعة الصغرى.

٤- الرد على بعض الكتّاب في هذا العصر، الذين يشككون في الأمور الغيبية، التي أخبر بها الرسول ﷺ؛ ومنها أشراط الساعة الصغرى، زاعمين أن هذا ينافي العقل ويصادمه.

- **الدراسات السابقة:** اعتنى بعض الدارسين بموضوع أشراط الساعة؛ ودرسوها بشكل مفصّل، أو مختصر، ومنهم من اكتفى بجمع أحاديثها وتخريجها؛ ومنهم من تخصص بأحد أشراط الساعة ودرس موضوعاتها دراسة تفصيلية.

ولم أجد من أفرد أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية بمؤلف مستقل، بل دمجها مع أشراط الساعة الكبرى، أو مع الفتن، وكثرة هذه التصانيف إنما تدل على عظم أهمية هذا الموضوع؛ وحاجة الناس إليه على مدار العصور الإسلامية؛ كيف لا وأمتنا هي الأمة الخاتمة، ونبينا ﷺ هو النبي الخاتم.

- **حدود البحث:**

١- دراسة كل الأحاديث النبوية الصحيحة أو الحسنة، واستبعاد الضعيفة المتفق على ضعفها.

٢- دراسة أقوال الصحابة رضي الله عنهم، وأقوال التابعين رحمهم الله

تعالى، فيما إذا كان ذلك مما له حكم المرفوع، أو له صلة بمعاني تلك الأحاديث.

- منهج البحث: يتلخص في اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي، **وأما إجراءاته:** فتتلخص في الآتي:

١- اعتماد الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، وترك الضعيف المتفق على ضعفه.

٢- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها الأصيلة، فما وجدته في الصحيحين فاكتفي بهما، فإن لم أجدها فيهما، انتقلت إلى كتب السنن، كالسنن الأربعة، ثم المسانيد، ثم الموطآت، والمصنفات، والمستدركات، والمعاجم، ونحوها.

٣- الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين من خلال أقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين.

٤- شرح الكلمات الغريبة في الأحاديث من كتب غريب الحديث.

٥- تتبع أقوال علماء الحديث المتقدمين والمتأخرين في دلالات الأحاديث ومعانيها من كتب شروح الحديث.

٦- ذكر التأويلات الفاسدة لأشراط الساعة إن وجدت، ثم الرد عليها.

٧- عمدت إلى عرض مادة البحث بأسلوب سهل ومبسط يناسب كافة القرّاء.

- خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة وعشرين مبحثًا، وخاتمة، وتوصيات، وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث:(أشراط، الساعة، السنة)، في

اللغة العربية والاصطلاح الشرعي.

المبحث الأول: ظهور الفتن وبيع الدين بعرض الدنيا.

المبحث الثاني: ظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة.

المبحث الثالث: اتباع سنن الأمم الماضية.

المبحث الرابع: ولادة الأمة ربّتها أو ربّها.

المبحث الخامس: التطاول في البنيان.

المبحث السادس: زخرفة ونقش البنيان.

المبحث السابع: زخرفة المساجد والتباهي فيها.

المبحث الثامن: هجر المساجد وجعلها طرقًا وعدم الصلاة فيها.

المبحث التاسع: ظهور النساء الكاسيات العاريات.

المبحث العاشر: إماتة السنن والتهاون بها وإحياء البدع والضلال.

المبحث الحادي عشر: ظهور الفحش وقطع الرحم وسوء الجوار.

المبحث الثاني عشر: ظهور المحرمات والفواحش واستحلالها.

المبحث الثالث عشر: ظهور الزلازل والخسف والمسخ والقذف والريح الحمراء.

المبحث الرابع عشر: تغير الأحوال وانقلاب الموازين واختلالها وارتقاء السفلة.

المبحث الخامس عشر: ضياع الأمانة وكتمان الحق.

المبحث السادس عشر: كثرة أعوان الظلمة وهم الشُرط.

المبحث السابع عشر: غلبة التجارة، ومشاركة المرأة فيها، والشح.

المبحث الثامن عشر: غربة الإسلام ونقض عراه.

المبحث التاسع عشر: تداعي الأمم على الأمة الإسلامية.

المبحث العشرون: انتشار الكتابة والطباعة وكثرة الجهل بالعلم الشرعي وقلة العلم به.

المبحث الحادي والعشرون: تقارب الزمان والأسواق.

المبحث الثاني والعشرون: كثرة القتل وموت الفجأة وتمني الموت.

المبحث الثالث والعشرون: كثرة النساء وقلة الرجال.

المبحث الرابع والعشرون: حصار الدول الإسلامية.

الخاتمة: وتتضمّن أهم النتائج.

التّوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

وبعد: فإنني لا أستطيع أن أدعي أن هذه الدراسة قد انتهت إلى أبعد غاياتها، أو وصلت إلى ما أنشده لها من الكمال، أو أنها استوعبت كل ما يجب استيعابه من الآراء؛ لكنني أرجو أن يُقدّر سعة جوانب الموضوع، وكثرة أحاديثه ورواياته، وتعدد الآراء المختلفة والتأويلات فيه.

ختامًا أقول: اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، اللهم لا تعذب لسانًا يخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك، ولا قدمًا تمشي إلى خدمة دينك، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

الدمام: ٣/ربيع الثاني/١٤٣٨هـ

١/ ١ / ٢٠١٧م

الدكتور محمد عبد الرزاق أسود

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

(أشراط، الساعة، السنة) في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي

المطلب الأول: تعريف الأشراط في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي:

أولًا: تعريف الأشراط في اللغة العربية: الشَّرَط: هو العلامة، وجمعه أشراط(١)، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه شُرط السلطان، وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من مجموع جنوده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض، والشرط علامة على المشروط، وتأتي بمعنى الأمارات؛ وهي العلامات الدالة على الشيء، وكذلك الآيات(٢)، **وأشراط السَّاعة علاماتها وأسبابها التي هي دون معظمها وقيامها، وأشراط كل شيء ابتداء أوله**(٣).

ثانيًا: تعريف الأشراط في الاصطلاح الشرعي:" هي العلامات التي تسبق يوم القيامة، وتدل على قدومها"(٤).

المطلب الثاني: تعريف الساعة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي:

أولًا: تعريف الساعة في اللغة العربية: السين والواو والعين يدل على استمرار الشيء ومضيه؛ ومن ذلك الساعة سميت؛ يقال: جاءنا

---

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة شرط، معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة شرط، فيض القدير: المناوي: ٥٣٢/٢، ١٧٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤٦٠/٢، المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده: مادة شرط.

(٣) تهذيب اللغة: الأزهري: مادة شرط، المحيط في اللغة: الطالقاني: مادة شرط.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤٦٠/٢.

بعد سوع من الليل وسواع؛ أي بعد هدء منه؛ وذلك أنه شيء يمضي ويستمر(١)، **و**تطلق الساعة على معنيين: أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا؛ من مجموع الليل والنهار، والثاني: أن تكون عبارة عن جزء قليل من أجزاء الليل أو النهار، يقال: جلست عندك ساعة من النهار، أي: وقتًا قليلًا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة(٢)، وجمعها ساعات وساع، وتصغيره سويعة، أو هي آلة مصنوعة يعرف بها الوقت بالساعات والدقائق والثواني، والساعة الوقت الحاضر(٣)، وساعة الغفلة: ما بين المغرب والعشاء، وساعة الصفر في اصطلاح الجيش: الوقت السري المحدد لبدء عمل حربي، ومن معاني الساعة في اللغة؛ الوقت الحاضر، والمشقة، والبعد، والهلكى كالجوع للجياع(٤).

ثانيًا: تعريف الساعة في الاصطلاح الشرعي:" هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة؛ و**إذا ترك أن يعرف أي ساعة هي؛ فهي الساعة التي تقوم فيها القيامة؛ لأنها سميت ساعة على هذا**(٥)، أي لأن وقتها غير معلوم أو محدد بالنسبة إلينا، والساعة القيامة، والساعة اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد، والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، وسميت ساعة؛ لأنها تفجأ الناس في ساعة؛ فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى"(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس: مادة سوع.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢٧٣/٢.

(٣) لسان العرب: ابن منظور: مادة سوع، تاج العروس: مرتضى الزبيدي: مادة سوع.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: مادة سوع.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده: مادة سوع.

(٦) لسان العرب: ابن منظور: مادة سوع، تاج العروس: مرتضى الزبيدي: مادة سوع، القاموس

يقول القرطبي:" وحقيقة الإطلاق فيها بالألف واللام عبارة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن، وسميت به القيامة؛ إما لقربها فإن كل آت قريب، وإما أن تكون سميت به تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام..، وقيل: إنما سميت بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة في ساعة"(١)، والساعة تطلق على معان ثلاثة(٢):

١- الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان، فمن مات فقد قامت قيامته الصغرى؛ لانقطاعه عن الدنيا، ودخوله عالم البرزخ الذي هو أول عوالم الآخرة.

٢- الساعة الوسطى: ويراد بها موت أهل القرن الواحد؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت:"كان من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم(٣)، قال هشام: يعني موتهم"(٤).

٣- الساعة الكبرى: والمراد بها: القيامة الكبرى، وإذا أطلقت الساعة في القرآن الكريم فهي المقصودة؛ كما قال الله تعالى:﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾

المحيط: الفيروزآبادي: مادة سوع، المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: مادة سوع، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢٧٣/٢.

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: ٢٦٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٦٤/١١.

(٣) المراد بساعتكم ساعة المخاطبين. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٦٣/١١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، (الحديث: ٦١٤٦): ٢٣٨٧/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، (الحديث: ٢٩٥٢): ٢٢٦٩/٤.

(١)، أي عن القيامة التي هي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وأشراط الساعة: علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها، وقيل: هي ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة، وقيل: هي أسبابها التي دون معظمها وقيامها(٢).

ولأشراط الساعة تسميات أخرى كالآيات، والعلامات، والأعلام، والأمارات، وجميع هذه المسميات تؤدي معنى واحدًا، وهو أن المقصود منها ما يتقدم قيام الساعة من أمور كأشراط لها، وسميت أشراط الساعة بالصغرى؛ للتمييز بينها وبين أشراط الساعة الكبرى؛ كظهور المهدي، والدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، والخسوفات الثلاثة، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونحوها، وأن الهدف من ظهور أشراط الساعة الصغرى تمييز المؤمن الملتزم من المسلم العاصي، أما الهدف من ظهور أشراطها الكبرى هو تمييز المؤمن من الكافر.

وتقسم أشراط الساعة إلى ثلاثة أقسام: ١- أشراط صغرى ظهرت وانقضت. ٢- أشراط صغرى ظهرت وهي مستمرة ومتزايدة ومتتابعة وتكثر، وهو مجال بحثنا هذا. ٣- أشراط لم تظهر بعد، ومنها بعض الأشراط الصغرى، والأشراط الكبرى، وهذا التقسيم لم يقم دليل شرعي من القرآن الكريم والسنة النبوية فيما أعلم، وإنما هو مبني على الاستقراء والتتبع، والقصد من ورائه أنه يساعد على ضبط أشراط الساعة مع كثرتها، كما أنه يسهل للناس الانتفاع بها، وإدراك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤٦٠/٢.

معانيها(١).

المطلب الثالث: تعريف السنة في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي:

أولًا: تعريف السنة في اللغة العربية: السنة في اللسان العربي تطلق ويراد بها عدد من المعاني، منها ما يأتي:

١- ما يدل على الصقالة والملامسة، فالمسنون: هو المصقول، ورجل مسنون الوجه: حَسَنُه سهْله.

٢- ترد السنة بمعنى العناية بالشيء ورعايته، يقال: سَنَّ الإبل يَسُنُّها سَنًّا؛ إذا رعاها فأسمنها وأحسن رعايتها.

٣- تأتي السنة بمعنى البيان، وسُنَّة الله تعالى: أحكامه وأمره ونهيه، وسَنَّها الله تعالى للناس: بيَّنها، وسنَّ الله تعالى سُنَّة أي بيَّن طريقًا قويمًا.

٤- كما تأتي السنة بمعنى السيرة المستمرة، والطريقة، فالسُّنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة(٢).

ثانيًا: تعريف السنة في الاصطلاح الشرعي: هي:" ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية"(٣)، وهذا التعريف هو مرادف لتعريف الحديث عند جمهور المحدثين، وأن معنى السنة والحديث

---

(١) ينظر للتوسع: الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٤٣-٢٤٤، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ٧٧- ٧٨، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٢١- ٢٢، السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: الداني: ٦٩- ٧٤.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: مادة سنن، الصحاح: الجوهري: مادة سنن، القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة سنن.

(٣) معجم علوم الحديث النبوي: د.عبد الرحمن الخميسي: ١٢٨، شذرات من علوم السنة: د.محمد الأحمدي أبو النور: ٤٤.

مترادفان؛ وهما ينتهيان إلى النبي ﷺ في أقواله المؤيدة لأعماله، وأعماله المؤيدة لأقواله(١)، وهذا هو الراجح؛ لأن التفريق بينهما هو تفريق لا مبرر له؛ وقد اتسع استعمال الحديث بعد وفاة الرسول ﷺ فأصبح يشتمل بالإضافة إلى القول فعله ﷺ وتقريره (٢).

المبحث الأول: ظهور الفتن وبيع الدين بعرض الدنيا

أخبر رسول الله ﷺ بالفتن العظيمة التي تقع ابتلاء للأمة؛ ليعدوا لها العدة، وخصوصًا تلك الفتن التي تعد من أشراط الساعة وأماراتها، والتي يلتبس فيها الحق بالباطل، فكان النبي ﷺ حريصًا على تنبيه أمته منها، كما في الأحاديث التالية: فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا؛...وفيه: فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال:" إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم؛ وينذرهم شر ما يعلمه لهم؛ وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها؛ وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها؛ وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضها.."(٣)، وصفة هذه الفتن المتدافعة المتداخلة مع بعضها البعض؛ بأنها يرقق بعضها بعضها بحيث يصير بعضها خفيفًا لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقًا؛ وقيل: معناه يشبه بعضها بعضًا، وقيل: يدور بعضها في بعض، ويذهب ويجيء، وقيل: معناه

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه: د.صبحي الصالح: ١١.

(٢) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: د.عبد المجيد محمود عبد المجيد: ١٣.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، (الحديث: ١٨٤٤): ١٤٧٢/٣.

يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها(١)، وروى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: القتل، القتل"(٢)، وروى أبو موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا؛ ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا(٣)؛ القاعد فيها خير من القائم؛ والماشي فيها خير من الساعي؛ فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة؛ فإن دخل يعني على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم"(٤)، والمقصود من الفتنة المظلمة السوداء تعظيمًا لشأنها، أو كقطعة من

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢٣٣/١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (الحديث: ٦٦٥٢): ٢٥٩٠/٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ١٥٧): ٢٠٥٦/٤.

(٣) يصبح الرجل مؤمنًا: أي موصوفًا بأصل الإيمان أو بكماله، ويمسي كافرًا: أي حقيقة أو كافرًا للنعمة أو مشابهًا للكفرة، أو عاملًا عمل الكافر، وقيل: المعنى يصبح محرمًا ما حرمه الله تعالى، ويمسي مستحلًا إياه وبالعكس؛ أي في تلك الفتن، والظاهر أن المراد بالإصباح والإمساء تقلب الناس فيها وقتًا دون وقت لا بخصوص الزمانين؛ فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوع أفعالهم من عهد ونقض، وأمانة وخيانة، ومعروف ومنكر، وسنة وبدعة، وإيمان وكفر، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب. ينظر: تحفة الأحوذي: المباركفوري: ٣٦٤/٦-٣٦٧، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٣٣/٢، الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: السيوطي: ١٣٤/١.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، (الحديث: ٤٢٥٩): ٥٠٢/٢، قال الألباني:"صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود، له، ١١/٣، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، (الحديث: ٣٩٦١): ١٣١٠/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث:١٩٧٣٠): ٥٠٤/٣٢، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجل عبد الرحمن بن ثروان".

الليل المظلم في شدتها وظلمتها وعدم تبين أمرها، ويريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها، من حيث إنها شاعت ولا يعرف سببها، ولا طريق للخلاص منها(١)، وكذلك ما رواه الحسن؛ أن الضحاك بن قيس ﷺ كتب إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلام عليك، أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم؛ فتنًا كقطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل؛ كما يموت بدنه؛ يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا؛ ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا؛ يبيع أقوام خلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا؛ وإن يزيد بن معاوية قد مات وأنتم إخواننا وأشقاؤنا؛ فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا"(٢)، وقد بدأت ظهور الفتن منذ استشهاد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ(٣)، والذي انفتح باستشهاده باب الفتن إلى اليوم، وما تلتها من أحداث خطيرة بين المسلمين، كمعركة الجمل، وصفين(٤)، ثم فتنة الخوارج، ثم

---

(١) عون المعبود: العظيم آبادي: ٢٣٠/١١، النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٨٣/٤.

(٢) رواه في أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٧٥٣):٣١/٢٥، قال الهيثمي:" رواه أحمد، والطبراني من طرق؛ فيها علي بن زيد وهو سيئ الحفظ وقد وثق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٣٦٤): ٦٠١/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" مرفوعه صحيح لغيره دون قوله:" فتنًا كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه "، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد- وهو ابن جدعان- وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح".

(٣) ينظر للتوسع: أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ بين الحقيقة والافتراء: د.فهمي عبد الجليل محمود، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة: ٦٥- ١٤٢، ومجلة كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بدمنهور: ١١٢٧.

(٤) ينظر للتوسع: أوضح البيان في الذب عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: د.أحمد عبد المحسن عبد الغفار، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر

فتنة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم موقعة الحرة، وفتنة ابن الأشعث، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي من القتال، وفتنة المختار؛ وقد ادعى النبوة، وسائر فتن الأهواء المضلة؛ من ظهور الشيعة، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، والمعتزلة، وكان أصحابها لهم نشاط قوي عصف بالعقيدة الإسلامية، ولا تزال آرائهم المنحرفة قائمة إلى اليوم، ثم في مدينة البصرة ظهرت فتنة الزنج عام (٢٥٤هـ)، وفي عام (٢٧٨هـ) ظهرت فتنة القرامطة، وقد أحدثت فتنة الزنج والقرامطة في حق المسلمين من الدمار والخراب والقتل ما الله تعالى به عليم، ثم فتنة الدولة العبيدية (الفاطميون) الذين استولوا على بلاد كثيرة في المغرب العربي ومصر، وأما في العصر الحاضر فقد ظهرت فتن كثيرة؛ وذلك مثل: فتنة الحروب بين المسلمين، وقتل وتشريد ملايين الناس، إلى غير ذلك مما يجري من أحداث دامية؛ وما ظهر من فتن في العقيدة؛ كفتنة الشيوعية، وفتنة العلمانية، وما شابهها، وكذلك ظهور الفرق المنحرفة؛ كالقاديانية في الهند، والبابية والبهائية في إيران، وغيرها، وهي فتن مستمرة، فمنها ما هو قد انقضى، ومنها ما هو موجود في عصرنا ومستمر، وتؤدي هذه الفتن إلى بيع الدين بعرض الدنيا الزائل، الذي هو كذلك من أشراط الساعة، وتمثل هذه الأحاديث النبوية واقع المسلمين اليوم، ففي مقابل عرض الدنيا الفاني يحدث كل ما هو كفر، أو محرم، أو مخالف للدين.

بأسيوط: ٥١٥- ٥٥٦، ومجلة مركز بحوث السنة والسيرة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر: ٨٣- ١٣٤.

المبحث الثاني: ظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة

هذه العلامة ظهرت منذ زمن رسول الله سيدنا محمد ﷺ، وهي مستمرة، والأحاديث الصحيحة في ظهور الكذابين والدجالين كثيرة، وبعضها ينص على الثلاثين دجالًا، وبعضها على قريب الثلاثين، وبعضها أكثر من ثلاثين، وبعضها على غير ذلك، ومنها ما ينص على الكذب؛ والأحاديث كثيرة؛ فمنها: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان(١)، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة(٢)، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين؛ كلهم يزعم أنه رسول الله.."(٣)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"يكون في آخر الزمان دجالون كذابون؛ يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم؛ لا يضلونكم ولا يفتنونكم، وحدثني أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبدة، قال: قال عبد الله رضي الله عنه: إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل؛ فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب؛ فيتفرقون؛ فيقول الرجل منهم: سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث؛

---

(١) المراد بالفئتين جماعة علي ڤ ، وجماعة معاوية ڤ. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٠٣/١٢.

(٢) المراد بالدعوة؛ الإسلام على الراجح، وقيل: المراد اعتقاد كل منهما أنه على الحق. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٠٣/١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب خروج النار، (الحديث: ٦٧٠٤): ٢٦٠٥/٦ واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه إلى قوله: ودعواهما واحدة، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، (الحديث: ١٥٧): ٢٢١٣/٤.

وحدثني محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن في البحر شياطين مسجونة؛ أوثقها سليمان عليه السلام؛ يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا"(١)، وفي رواية ثالثة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالًا، كلهم يكذب على الله وعلى رسوله"(٢)، وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:" ليكونن قبل المسيح الدجال كذابون ثلاثون أو أكثر"(٣)، وأما رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:" إن بين يدي الساعة كذابين"(٤)، وزاد في رواية عنه رضي الله عنه:"فاحذروهم"(٥)، وليس التحديد في الأحاديث مرادًا به كل من ادعى النبوة مطلقًا، فإنهم كثير لا يحصون، لكون معظمهم ينشأ لهم ذلك عن جنون، ولم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، (الحديث: ٧): ١٢/١.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائد، (الحديث: ٤٣٣٤): ٥٢٤/٢، واللفظ له، ورواه الترمذي في سننه بلفظ:" كلهم يزعم أنه رسول الله"، في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، (الحديث: ٢٢١٨): ٤٩٨/٤، وقال:" هذا حديث حسن صحيح"، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن الترمذي، له، ٤٨١/٢-٤٨٢، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، (الحديث: ٣٩٥٢): ١٣٠٤/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث:٩٨١٨): ٥٠٧/١٥، قال الأرناؤوط في هامشه:" حديث صحيح، وهذا إسناد حسن".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٥٨٠٨): ٧٠/١٠، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره".

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، (الحديث: ٢٩٢٢): ٢٢٣٩/٤.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، (الحديث: ١٨٢٢): ١٤٥٣/٣.

يأبه الناس لهم، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة، وأثار فتنة، وكثر اتباعه واشتهر بين الناس(١)، وقد ظهر من ادعى النبوة كما أخبر النبي ﷺ، وأهم الذين ادعوا النبوة هم:

١- مسيلمة الكذاب من بني حنيفة، وقد قتل في زمن خلافة أبي بكر ﷺ في معركة اليمامة المشهورة.

٢- الأسود العنسي في صنعاء باليمن، وقد قتله الصحابة ﷺ قبل وفاة النبي ﷺ.

٣- سجاح بنت سويد من بني تغلب وتبعها بنو تميم، وقد رجعت إلى الإسلام في زمن معاوية ﷺ.

٤- طليحة بن خويلد من بني أسد، فقد خرج في زمن خلافة أبي بكر ﷺ، ورجع إلى الإسلام.

٥- المختار بن أبي عبيد الثقفي، فقد خرج بالكوفة في أول خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وقد كانت فتنة كبيرة، ثم قُتل. ٦- الحارث الكذاب، وقد خرج في خلافة عبد الملك بن مروان، وقتل.

٧- الشاعر المتنبي، ثم تاب، وكان ذلك في خلافة بني العباس.

٨- بهبود، قائد فتنة الزنج، في العراق في خلافة المعتمد.

٩- يحيى بن زكرويه القرمطي، في زمن خلافة المكتفي.

١٠- الحسين القرمطي، وظهر على الشام، ثم قتل.

١١- أبو طاهر القرمطي، في خلافة المقتدر، وهو الذي قلع الحجر الأسود وقتل الحجيج.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٦١٧/٦.

١٢- محمد بن علي الشلمغاني، المعروف بابن أبي العراق، في خلافة الراضي، وتم قتله وصلبه.

١٣- رجل في نواحي نهاوند، في خلافة المستظهر في سنة (٤٩٩هـ)، وتم قتله.

١٤- جماعة بالمغرب منهم رجل تسمى اسم "لا". ١٥- امرأة ظهرت بالمغرب.

١٦- ميرزا أحمد القادياني بالهند وتوفي فيها سنة (١٣٢٦هـ) مؤسس القاديانية؛ وتسمى الأحمدية، وقد ارتبط بالاستعمار البريطاني، وأسقط الجهاد.

١٧- حسين بن علي بن الميرزا عباس في إيران، ولقب ببهاء الله، وهو مؤسس الطائفة البهائية، وتوفي بعكا في فلسطين عام (١٣٠٩هـ)، وقد ارتبط بالاستعمار البريطاني، والروسي، ومركزها الآن في فلسطين، ويتبناها اليهود بقوة، ومن تعاليمها: الحج إلى عكا، والتوجه بالصلاة إليها، وصيام تسعة عشر يومًا.

١٨- محمود محمد طه في السودان، وتم إعدامه عام (١٤٠٥هـ)، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون، فلا يزال خروج هؤلاء الكذابين واحدًا بعد الآخر، حتى يظهر آخرهم الدجال الكبير الأعور(١).

---

(١) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ٧١- ٧٦، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٧٣/١- ٣٧٧، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٦٢/١- ١٦٣، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٦٥- ٦٧، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٦٧- ٢٦٩، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١١٣- ١١٦، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٤٦- ٤٩، نبوءات نبي الإسلام

المبحث الثالث: اتباع سنن الأمم الماضية

حذر رسول الله ﷺ أمته من اتباع الأمم الأخرى، وتقليدها والتشبه بها، حيث أخبر بما سيكون في أمته، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها؛ شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: ومَن الناس إلا أولئك"(١)، وما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"(٢)، والتشبيه بالشبر والذراع والطريق ودخول الجحر؛ تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه(٣)، فأخبر ﷺ أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور، والبدع والأهواء المضلة؛ كما اتبعتها الأمم من فارس والروم حتى يتغير الدين عند كثير من الناس(٤).

وقد لاحظت أن هذه العلامة من أكثر الفتن وعلامات الساعة أحاديثًا؛ تحذيرًا منه ﷺ من هذه الفتنة؛ وبيانًا لخطرها على دين المسلمين وحياتهم وهويتهم الإسلامية، وهي من أعظم الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في عصرنا

في علامات الساعة الكبرى والصغرى، محمد الحمدان: ٣٢- ٥٥.

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ:" لتتبعن سنن من كان قبلكم"، (الحديث: ٦٨٨٨): ٢٦٦٩/٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (الحديث: ٢٦٦٩): ٢٠٥٤/٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٠١/١٣.

(٤) شرح صحيح البخاري: ابن بطال: ٣٦٦/١٠.

الحاضر، فقد تشبه أكثر المسلمين بعادات وأخلاق اليهود والنصارى خاصة، ونحوهم من أعداء الإسلام عامة، ولا شك أن الوقوع بهذه الفتنة فيه الانهزام الداخلي، والتوهّم والانخداع بالمظاهر الجوفاء، والخلود إلى دنس الشهوات، وقد رأى بعض الباحثين أن هذه العلامة بأنها من الفتن المستمرة(١)، وفي هذا الزمن ازداد التشبه بالكفار والافتتان بهم رجالًا ونساءً، حتى ظنوا أن ذلك هو التطور والتقدم، فابتعدوا عن تعاليم الإسلام، وربما انسلخوا من الدين بالكلية، فقد حكّموا قوانين الكفار، وعطلوا شريعة الإسلام، ورفعوا شعاراتهم، وعابوا دينهم، إرضاء لمتبوعيهم، وهم يقلدوهم بكل صغيرة وكبيرة، شبرًا بشبر وذراع بذراع، ففتنوا كما فتن أولئك بالدنيا وزينتها من مال، وشهوات، وحب للجاه والسيادة، وغير ذلك، فأحلوا الربا والمفاسد، وأكثر المحرمات، وقلدوهم في الملبس وغيره، وهذا يدل دلالة واضحة على صدق النبي ﷺ في نبوته ورسالته؛ فقد أخبر بما وقع فعلًا، وبما نراه ليل نهار، وأن ذلك من علامات الساعة.

وقد حذر النبي ﷺ في أحاديث أخرى من التقليد، فنهى عن مشابهة اليهود والنصارى، وبيّن عواقب التقليد؛ لأن الإسلام يحرص على إيجاد الشخصية المسلمة القوية التي تعتز بما لديها من خلق ودين، وتحمل غيرها على أن يتأثر بها، وتأبى أن تذوب في غيرها كل الإباء، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" من تشبه بقوم فهو منهم"(٢)، وقد علا شأن المسلمين وقوي سلطانهم يوم كانوا متمسكين بالإسلام، واحتلوا مكان الصدارة في حياتهم

---

(١) سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة: مصطفى عسيري: ٥٨، ٧٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، (الحديث: ٤٠٣١): ٤٤/٤، قال الألباني:" حسن صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود، له، ٥٠٣/٢- ٥٠٤.

الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والسياسية، فكانوا قوة مؤثرة حقًا، وانهارت أمامهم الحضارات السابقة، ولم يصل المسلمون إلى حالتهم المؤلمة من الضعف، والوهن، والانحلال، والخسران إلا بعد أن قطعوا صلتهم بإسلامهم، وفقدوا ثقتهم بأنفسهم، وظنوا جهلًا أو تجاهلًا بأن تقليد الكفار هو سبيل التقدم والرقي، وما زال هذا الاتجاه التقليدي يقودهم نحو الانحدار والضياع إلى أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من ذوبان الشخصية، والتخلي عن مبادئ الإسلام، ويا ليتهم أخذوا ما هو نافع من علومهم، وغير متعارض مع الإسلام، لكنهم أخذوا بالمظاهر الفاسدة فقط مما هو مخالف للشرع الإسلامي(١).

المبحث الرابع: ولادة الأمة ربّتها أو ربّها

وهي من الأشراط التي وقعت وهي مستمرة، وقد أخبر بها رسول الله ﷺ، ومن ذلك: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل عليه السلام؛ فقال: ما الإيمان؟ قال:" أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة؛ وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟ وسأخبرك عن أشراطها؛ إذا ولدت الأمة ربها؛

---

(١) ينظر للتوسع: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٢١٩/١- ٢٢٤، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٩١- ٩٦، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٦٩- ٢٧١، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١١١- ١١٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٣- ١٣٦، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: الشيخ أبو بكر الجزائري: ٦٥- ٧٠.

وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان؛ في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ:﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾(١) الآية؛ ثم أدبر فقال: ردوه؛ فلم يروا شيئًا؛ فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم؛ قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان"(٢)، وفي رواية ثانية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، فقال له:...فأخبرني عن الساعة؟ فقال ﷺ:" ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟ قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"(٣)، وللعلماء أقوال عدة في معنى ولادة الأمة لربّتها، وذلك بما يلي:

١- قال الخطابي:" اتساع الإسلام؛ واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبى ذراريهم؛ فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها؛ كان الولد منها بمنزلة ربها؛ لأنه ولد سيدها"، وذكره النووي بأنه قول الأكثرين من العلماء، ولكن استبعده ابن كثير، وابن حجر.

٢- أن يلدن الملوك، فتكون أمّه من جملة رعيته وهو سيدها، وسيد غيرها من رعيته.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب إن الله عنده علم الساعة، **(الحديث:** ٥٠): ٢٧/١، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه بلفظ:" وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها، وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان"، في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (الحديث: ١٠): ٤٠/١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، (الحديث: ٨): ٣٧/١.

٣- أن تبيع السادة أمهات أولادهم ويكثر ذلك؛ فيتداول الملاّك المستولدة حتى يشتريها ولدها؛ ولا يشعر بذلك.

٤- أن تلد الأمة حرًا من غير سيدها بوطء شبهة؛ أو رقيقًا بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعًا صحيحًا؛ وتدور في الأيدي حتى يشتريها ابنها أو ابنتها.

٥- أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه أو البنت أمها؛ معاملة السيد أو السيدة مع الأم؛ من الإهانة والاستخدام وغير ذلك، فكان ربها أو ربتها مجازًا أو المربي حقيقة، أو تعامل الأم من أبنائها وبناتها بقسوة كالخادمة لا قيمة لها؛ لأن المراد حالة تدل على فساد الأحوال وانعكاسها مما يقع قرب الساعة، بحيث يصير المتربي مربيًا والسافل عاليًا(١)، وهو مناسب للعلامة الأخرى؛ وهي أن تصير الحفاة ملوك الأرض، وهذا ما نرجحه حيث كثر العقوق، وخاصة في المجتمعات غير الإسلامية، ولم يعد للآباء والأمهات السلطة على أولادهم من التوجيه والإرشاد؛ بل انقلبت الموازين وأصبحت في غير محلها، جريًا مع بقية العلامات.

٦- أن الإماء تكون في آخر الزمان هنّ المشار إليهنّ بالحشمة، فتكون الأمة تحت الرجل الكبير دون غيرها من الحرائر، ولهذا قرن ذلك بقوله ﷺ:" وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان"(٢).

٧- وقد تكون لها صور أخرى من واقعنا المعاصر لم تكن معروفة من قبل مما ذكره بعض العلماء، وهو عند اختلاف ما يطلق عليه بالجنسية، فيصبح الولد

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٢٢/١، ١٢٣.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ١٩٣/١.

كفيلًا والوالد أو الوالدة مكفولة، وما يترتب على ذلك من تبعات(١)، (٢).

المبحث الخامس: التطاول في البنيان

وهي من الأشراط التي أخبر بها رسول الله ﷺ في الأحاديث السابقة، وقد وقعت وهي مستمرة، ولهذا الشرط روايات مختلفة، ينبغي أن نفسر بعضها ببعض ليتم المعنى في هذه العلامة:

المطلب الأول: أن الأعراب هم الذين يتطاولون بالبناء:

كما في رواية أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:"...وسأخبرك عن أشراطها؛ إذا ولدت الأمة ربها؛ وإذا تطاول رعاة الإبل البهم(٣) في البنيان..."(٤)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"سلوني، فهابوه أن يسألوه؛ فجاء رجل فجلس عند ركبتيه،.. وفيه: وإذا رأيت الحفاة العراة الصم

---

(١) ينظر للتوسع: صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٩٩- ١٠٣.

(٢) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ٧١- ٧٦، ٨٤، ١١٥، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٤٥٣/١- ٤٥٥، ٤٦٩- ٤٧١، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٨٣/١- ١٨٤، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧١- ٢٧٢، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٥٠- ١٥٢، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٦.

(٣) البَهْم: الصغار من أولاد الغنم الضأن والمعز جميعًا، وقيل: أولاد الضأن خاصة هي صغار الضأن والماعز، الذكر والأنثى، وقيل: أولاد الضأن خاصة، وقيل: البهم يختص بأولاد المعز، وأصله كل ما استبهم عن الكلام ومنه البهيمة. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٦٣،١٦٤/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب إن الله عنده علم الساعة، **(الحديث:** ٥٠): ٢٧/١.

البكم ملوك الأرض، فذاك من أشراطها؛ وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان.."(١)، قال القرطبي:" ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب؛ قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه، فوسد الأمر إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافلهم وعبيدهم وجهالهم؛ فيملكون البلاد والحكم في العباد، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان، فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية، فهم صم بكم عمي، قال قتادة: صم عن استماع الحق؛ بكم عن التكلم به؛ عمي عن الإبصار له"(٢).

المطلب الثاني: أن الناس بشكل عام هم الذين يتطاولون بالبناء:

كما في رواية أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس بالبنيان"(٣)، وكذلك رواية سلمان الفارسي ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: متى الساعة؟ فقال:" إن من اقتراب الساعة أن يظهر البناء على وجه الأرض، وأن تقطع الأرحام، وأن يؤذي الجار جاره"(٤).

المطلب الثالث: إضافة رئاسة الأعراب للناس مع التطاول بالبناء:

كما في رواية أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:"من أشراط الساعة أن يرى رعاة الشاء رؤوس الناس، وأن يرى الحفاة العراة الجوع يتبارون(٥) في البناء؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (الحديث: ١٠): ٤٠/١.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: ٥٦٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٠٨٥٨): ٤٩٩/١٦، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفتن، في ما ذكر في فتنة الدجال، (الحديث: ٣٧٥٤٧): ٥٠١/٧.

(٥) المتباريان: هما المتعارضان بفعليهما، يقال: تبارى الرجلان؛ إذا فعل كل واحد منهما مثل فعل

وأن تلد الأمة ربها أو ربتها"(١)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:"...لها علامات تُعرف؛ إذا رأيت الرعاء البهم يتطاولون في البنيان، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض، ورأيت المرأة تلد ربها..."(٢)، والتطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها، وكل ذلك واقع منذ مدة ولا زال في ازدياد، فأصبحنا نرى القصور، والعمارات الشاهقة، وذلك حين كثرت الأموال وبسطت الدنيا على الحفاة العراة العالة، ورأينا منهم من أصبح رئيسًا على الناس، وهذا مصداق الحديث النبوي، وسبب كون ذلك من أشراط الساعة؛ فقد قال ابن رجب:" مضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث، يرجع إلى أن الأمور توسد إلى غير أهلها، كما روى أبو هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث؛ فقال بعض القوم: سمع ما قال؛ فكره ما قال؛ وقال بعضهم: بل لم يسمع؛ حتى إذ قضى حديثه قال:(أين - أراه - السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)(٣)، فإذا

صاحبه ليرى أيهما يغلب صاحبه، وإنما كره ذلك لما فيه من الرياء والمباهاة. ينظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ١٦١/١٠.

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٩١٢٨): ٦٥/١٥، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح".

(٢) رواه النسائي في سننه في كتاب الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام، (الحديث: ٤٩٩١): ١٠٢/٨، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن النسائي: ٣٣٩/٣- ٣٤١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، (الحديث:٥٩): ٣٣/١.

صار الحفاة العراة رعاء الشاة، رؤوس الناس وأصحاب الثروة والأموال حتى يتطاولوا في البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا"(١).

وبالإضافة لما سبق فإن التطاول بالبناء هو بسبب كثرة الأموال، وهذا في الغالب يشغل المكلف عن العبادة والعلم والجهاد(٢)، وقد وقع التطاول في البنيان عند الناس بشكل عام، وتفاخروا في طولها وعرضها، وقد سميت بناطحات السحاب من شدة علوها، وهذا مصداق الحديث النبوي، والله المستعان(٣).

المبحث السادس: زخرفة ونقش البنيان

قد أخبر النبي ﷺ أن الناس سوف ينشغلون بزخرفة بيوتهم، وما فيها من جبس وديكورات وصور، مثل: زركشة الملابس، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتًا يوشونها(٤) وشي المراحيل(٥)"(٦)، وهذه العلامة ظاهرة جلية في هذا العصر، سواء في البيوت،

---

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب: ٤١/١.

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٦- ١١٧.

(٣) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ١٩٠/١، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: التويجري: ٤٦٩/١- ٤٧٢، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٨٣/١- ١٨٤، صحيح أشراط الساعة: مصطفى الشلبي: ٩٩- ١٠٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٢- ٢٧٣، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٤٨- ١٥٠، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٧- ١٣٩.

(٤) الوشي: النقش. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٥٢٢/٢.

(٥) أي المنقوشة بنقوش تشبه رحال الإبل. ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة: رحل، المعجم الوسيط، مادة: رحل.

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد، في الألفاظ، باب البناء، (الحديث: ٧٧٨): ٦٣، وسند هذا الحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٥٦٤/١.

أو القصور، أو الفنادق، أو المكاتب، وغيرها، بحيث يمكن أن يبنى بناء آخر بالمال المصروف على هذه الزينة والزخرفة، ويصاحب ذلك غالبًا التفاخر والتباهي؛ لدرجة الترف والإسراف المحرم، وهذا النقش والزخرفة لا يجوز لأمرين:

١- أن فيه إضاعة للمال وهو منهي عنه، فقد روى المغيرة بن شعبة ﷺ، أن النبي ﷺ:"...وكان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، ومنع وهات؛ وعقوق الأمهات؛ ووأد البنات"(١).

٢- أنه إسراف وبذخ مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ من الاقتصاد في جميع الأمور؛ حتى في الاجتهاد في الطاعة، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" لن ينجي أحدًا منكم عمله؛ قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة؛ سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا؛ وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا"(٢)، يعني أن من دام على سيره إلى الله تعالى في هذه الأوقات الثلاثة مع الاقتصاد بلغ، ومن لم يقتصد؛ بل بالغ واجتهد فربما انقطع في الطريق ولم يبلغ(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، (الحديث:٦١٠٨): ٢٣٧٥/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب مالا يستحقه، (الحديث: ١٧١٥): ١٣٤٠/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه،في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، (الحديث:٦٠٩٨): ٢٣٧٣/٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني:١٣٩/١، وينظر للتوسع: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٤٧٣/١- ٤٧٤، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٠٠- ١٠١، الفتن

المبحث السابع: زخرفة المساجد والتباهي فيها

ذكر رسول الله ﷺ أن زخرفة المساجد والتباهي بها، والمبالغة في تزيينها من علامات الساعة، والتي ظهرت وهي مستمرة؛ كما روى أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"(١)، وفي رواية ثانية عن أنس ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال:" يأتي على الناس زمان يتباهون(٢) بالمساجد؛ لا يعمّرونها(٣) إلا قليلًا؛ أو قال: يعمرونها قليلًا"(٤، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" ما أمرت بتشييد المساجد،

والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٢- ٢٧٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٧- ١٣٩.

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، (الحديث: ٤٤٩): ١٢٣/١، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود، له، ١٣٣/١، ورواه النسائي في سننه في كتاب المساجد، باب المباهاة في المساجد، (الحديث: ٦٨٩): ٣٢/٢، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب المساجد، باب تشييد المساجد، (الحديث: ٧٣٩): ٢٤٤/١، ورواه الدارمي في سننه في كتاب الصلاة، باب في تزويق المساجد، (الحديث: ١٤٠): ٣٨٣/١، قال حسين سليم أسد في هامشه:" إسناده صحيح"، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٢٣٧٩): ٣٧٢/١٩، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٢) أي يتفاخرون. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٣٩/١.

(٣) المراد عمارتها بالصلاة، وذكر الله تعالى؛ وليس المراد به بنيانها. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٤٠/١.

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب كراهة التباهي في بناء المساجد وترك عمارتها بالعبادة فيها، (الحديث:٣١٤٦): ٢٨١/٢، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب الصلوات، باب زينة المساجد وما جاء فيها، (الحديث: ٣١٤٦): ٢٧٤/١، قال ابن حجر: "رويناه موصولًا في مسند أبي يعلى، وصحيح ابن خزيمة من طريق أبي قلابة، أن أنسًا ﷺ قال: سمعته يقول:(يأتي على أمتي زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها)". ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، له، ٥٣٩/١.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى"(١)، وقد ذهب جمهور العلماء إلى كراهة نقش المسجد وتزويقه، وقيل: ليس بمكروه؛ لأن المصطفى ﷺ لم يذم ذلك؛ وما كل علامة على قرب الساعة تكون مذمومة؛ بل ذكر لها أمرًا ذمها؛ كارتفاع الأمانة، وأمورًا حمدها؛ كزخرفة المساجد؛ وأمورًا لا تحمد ولا تذم؛ كنزول عيسى عليه السلام، فليست أشراط الساعة من الأمور المذمومة؛ وهذه المبالغة في تزيين المساجد يخرجها عن المهمة التي وضعت لأجلها، علاوة على في ذلك من الإسراف، وما يصاحب ذلك من قلة الخشوع للمصلي(٢)، وهذه العلامة من علامات الساعة تفيد أن المساجد تشيّد للتباهي، ولا تعمّر بالمصلين، ولا يرتادونها، وكلام ابن عباس رضي الله عنهما يفيد تقليد اليهود والنصارى، حيث زخرفوا بيعهم وكنائسهم بعدما حرّفوا وبدلوا دينهم، فكذلك المسلمون يصير حالهم بتشييد المساجد وتزيينها رياء وشهرة، وقد افتتن كثير من المسلمين في زماننا بزخرفة المساجد وتحسين بنائها وتضخيمه؛ حتى أصبحت المساجد القائمة الآن مفخرة في العمران يرتادها الزوار للمشاهدة بدل أن تكون أماكن للعبادة والذكر، وقد ازدادت هذه الظاهرة وعمت، مع انحسار المفاهيم الإسلامية، وأصبح التسابق في تزويق المساجد أمرًا ملفتًا للنظر، فقد ضمت كل مستحدث للزينة من نقش وفرش وثريات، تفتن المصلي وتصرفه عن الخشوع بدل أن تكون ملاذًا يهرب إليها المسلم من زينة الحياة الدنيا ومباهجها، والأكثر من ذلك؛ أصبحت بعض المساجد أماكن لزيارة السائحين الكفار، بعد أن

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، (الحديث: ٤٤٨): ١٧٦/١، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود، له، ١٣٣/١.

(٢) فيض القدير: المناوي: ٩/٦.

كانت منهلًا للعلم والمعرفة، ودورًا للصلاة والعبادة، بل إن بعض البلاد الإسلامية حولت بالفعل بعض مساجدها إلى متاحف، وجعلتها للسياحة والتنزه، وقد قال أبو الدرداء ﷺ:" إذا حليتم مصاحفكم، وزخرفتم مساجدكم، فالدبار عليكم"(١)، قال المناوي:" زخرفة المساجد، وتحلية المصاحف منهي عنها؛ لأن ذلك يشغل القلب، ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى"(٢)، (٣).

المبحث الثامن: هجر المساجد وجعلها طرقًا وعدم الصلاة فيها

ذكر النبي ﷺ أن المسلمين في آخر الزمان يهجرون المساجد فلا يصلون فيها، وتصبح كالطريق للمرور فيها وجعلها طرقًا، وكل ذلك من أشراط الساعة؛ لأن المساجد مبنية للعبادة والذكر، فإذا ذهب هذا الهدف، يعني أن المسلمين تركوا أهم ركن من أركان الإسلام، وبالتالي ارتكبوا أكبر معصية، فيصبحون من شرار الناس، والساعة لا تقوم إلا عليهم، وهذه الأمور قد وقعت في الماضي ببعض بلاد المسلمين، وهو أيضًا واقع في زمننا المعاصر، وخاصة في المساجد القريبة من الأسواق، أو التي فيها عدة أبواب، وبالتالي يقل من يصلي في المساجد، وهذا نلاحظه الآن، وهو ما تصدقه الأحاديث النبوية؛ فقد روى عبد الله

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، في كتاب الصلاة، باب تزيين المساجد والممر في المسجد، (الحديث: ٥١٣٢): ١٥٤/٣.

(٢) فيض القدير: المناوي: ٣٦٦/١.

(٣) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١١، ١١٣، ١٢٣، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٤٧٤/١- ٤٧٥، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١١٢- ١١٧، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٣- ٢٧٤، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٤٦- ١٤٨، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٢١١- ٢١٢.

بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إنه لا تقوم الساعة حتى تتخذ المساجد طرقًا؛ وحتى يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة(١)، وحتى تتجر المرأة وزوجها؛ وحتى تغلو الخيل والنساء؛ ثم ترخص فلا تغلو إلى يوم القيامة"(٢)، وفي رواية ثانية عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين؛ وأن لا يسلم الرجل إلا على من يعرف، وأن يبرد(٣) الصبي الشيخ"(٤)، وفي رواية ثالثة عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" من اقتراب الساعة السلام بالمعرفة؛ وأن يجتاز الرجل المسجد لا يصلي فيه"(٥)، وهذا أمر لا يجوز؛ لأن تعظيم المساجد من تعظيم شعائر الله تعالى، وإن ذلك علامة الإيمان والتقوى، كما قال الله عز وجل:﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٦)، فالأحاديث تشير إلى اتخاذ المساجد حلقًا للدنيا، وأن الدافع

---

(١) أي يسلّم على من يعرفه فقط. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٤٠/١.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٧٩): ٤٩٣/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد"، وقال الذهبي:" موقوف"، وهذا الموقوف له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيبيات التي لا يستطيع العقل الخوض بها.

(٣) برد بريدًا: أرسله في البريد. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة برد.

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب كراهية المرور في المساجد من غير أن تصلي فيها، والبيان أنه من أشراط الساعة، (الحديث: ١٣٢٦): ٢٨٣/٢، قال ابن حجر:" وفي النهي عن اتخاذ المسجد طريقًا أحاديث مرفوعة متعددة، في أسانيدها ضعف". ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٤٦٧/٢، والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٩/٢- ٢٥٠.

(٥) رواه البزار في مسنده، (١٤٥٩): ٢٨٧/٤، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث:١٢٤٦٠): ٦٣٥/٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٣٢.

للجلوس فيها الدنيا، وللطريق ليمر منها إلى بيته، أو إلى مكان آخر ليقضي حاجته، أو تكون مراكز سياحية، تدخلها النساء الكاشفات العاريات بحجة اعتبارها مركزًا أثريًا داخل المدينة، وقد حدث هذا في هذا العصر، كما في بعض البلاد الإسلامية، والبلاد التي تحت أيدي الكفار، وفي بعض الأحيان تتخذ المساجد لأغراض غير شريفة، والله المستعان(١).

المبحث التاسع: ظهور النساء الكاسيات العاريات

أخبر رسول الله ﷺ بظهور صنف من النساء، يخرجن عن الآداب الشرعية المفروضة، وذلك بلبس الثياب التي لا تستر عوراتهن، وإظهارهن لزينتهن وشعورهن، وما يجب ستره من أبدانهن، أي كاسيات عاريات، وهي ظاهرة ونتيجة لاتباع سنن الأمم الأخرى والتشبه بهم، وفيه دلالة على ضعف الإيمان، والابتعاد عن منهج الله تعالى، وإشارة إلى اختلال القيم وانعكاسها مما هو علامة على قرب الساعة، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات، مميلات، رؤوسهن كأمثال أسنمة البخت(٢) المائلة، لا يدخلن

---

(١) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ٨٤، ١١٥، ١١٧، ١٢٠- ١٢٢، ١٢٤، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٤٧٦/١، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٩١- ١٩٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٢٤٩- ٢٥٣.

(٢) هي الأنثى من الجمال تمتاز بطول الأعناق. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١٠١/١، ومعناه أنهن يعظمن رؤوسهن بالخُمر والعمائم؛ وهذا موجود في بعض الدول الإسلامية فتضع بعض النساء طاقية أو ما شابهه تحت حجابها؛ ترى بذلك أن شكل رأسها يصبح أجمل، أو بصلة الشعور حتى تشبه أسنمة الجمال في ارتفاعها؛ وقيل: يجوز أن يكنّ يطمحن إلى الرجال لا يغضضن أبصارهنّ؛ ولا ينكسنّ رؤوسهنّ من قلة الحياء. ينظر: تفسير

الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من كذا وكذا"(١)، هناك عدة معان للكاسيات العاريات كما يلي:

١- أي أنهن يلبسن الثياب، ومع هذا فهن عاريات؛ لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها وشفافيتها كأكثر ملابس النساء في هذا العصر.

٢- قيل: كاسيات من نعمة الله تعالى، عاريات من شكرها.

٣- قيل: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا بحالها.

٤- وقيل: تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

٥- قيل: كاسيات من الثياب، عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات.

وأما مائلات مميلات؛ لها عدة معاني هي:

١- مائلات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن حفظه، مميلات يعلّمن غيرهن فعلهن المذموم.

٢- مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن.

٣- مائلات يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة(٢)، فهذا إخبار عن شيء مشاهد في هذا العصر؛ كأنه ﷺ ينظر إلى عصرنا هذا ويصفه لنا، فقد أصبح في عصرنا هذا أماكن لتصفيف شعور النساء، وتجميلها وتنويع أشكالها في محلات الحلاقة لتجذب إليها

غريب مافي الصحيحين البخاري ومسلم: الأزدي: ٣٦٥/١.

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب الكاسيات العاريات المائلات المميلات، (الحديث: ٢١٢٨): ١٦٨٠/٣.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١١٠/١٤، ١٩١/١٧.

الرجال(١)، وهذا أيضًا وصف معجز ودقيق، وكأنه ينظر بعينيه إلى ما نراه الآن، فالكاسية العارية هي من تلبس الثياب، ولكن ملابسها لا تؤدي الستر المطلوب، إما لقصرها وانكشاف ما هو عورة، أو لضيقها وإبرازها لمقاطع الجسم ومفاتنه، وإما لأنها خفيفة تشف وتصف لون البشرة، فهي بذلك كاسيات في ظاهر الأمر، عاريات في الحقيقة لكشف ما هو عورة، أو أن ما يكشفن أكثر مما يسترن؛ والحكم للغالب، وقد ظهر كل ذلك في المجتمعات الإسلامية، ويزداد بتجدد الموديلات ضراوة وتسارعًا ويفتك بالمجتمعات؛ لأن ذلك من أشد الفتن العصرية، والتي أخبرنا ﷺ بأنها من أشراط الساعة(٢).

المبحث العاشر: إماتة السنن والتهاون بها وإحياء البدع والضلال

أنبأنا رسول الله ﷺ أن من علامات الساعة تهاون الناس في تطبيق السنن التي رغب بها الإسلام، ومن ذلك: المرور بالمسجد وعدم الصلاة فيه، وقد تكلمنا عنها قبل قليل، والتسليم على الخاصة أو على المعرفة، بأن تترك التحية المشروعة والتي حث عليها الإسلام؛ وجعلها سببًا للتآلف والمودة والمحبة، وأن تقتصر على المعارف فقط، أو إبدال السلام باللعن، والتناكر بين الناس، وظهور

---

(١) ينظر للتوسع: فقه التعامل مع الفتن: زين العابدين الغامدي: ٢٠٨- ٢١٧، الفتن في الآثار والسنن: جزّاع الشمّري: ١٤- ١٩، إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان: عبد الله آل جار الله: ٤٠- ٤٢، ٤٤- ٥٠.

(٢) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٥٩/١، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١٢٤- ١٢٥، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٢٨٠/١- ٢٨١، ٤٥٠- ٤٥٢، ٥٠٢، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٩٧- ٩٨، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٥- ٢٧٦، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٨٤- ١٨٨، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٣٩- ١٤١.

البدع المخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: التسليم على الخاصة أو على المعرفة:

كما روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"إن بين يدي الساعة؛ تسليم الخاصة؛ وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة؛ وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"(١)، وما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل؛ لا يسلم عليه إلا للمعرفة"(٢)، وهذا مما حدث في المجتمعات الإسلامية، مما هو خلاف السنة، وهو مشاهد في زماننا، وهو في كثرة باطراد وازدياد، والله المستعان، وقد وقعت هذه العلامة في زماننا؛ كما أخبر رسول الله ﷺ، ورأينا ذلك في بلدان شتى.

المطلب الثاني: إبدال السلام باللعن:

يؤدي ترك تحية السلام إلى إبدالها بالتلاعن؛ كما روى معاذ بن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" لا تزال الأمة على الشريعة ما لم يظهر فيها ثلاث؛ ما لم

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٨٧٠): ٤١٥/٦- ٤١٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده حسن"، واللفظ له، وقال الهيثمي:"ورجال أحمد، والبزار، رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٢): ٣٢٩/٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأحكام، (الحديث: ٧٠٣٤): ١١٠/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، (الحديث: ١٢٦٧): ٤٨٩/٢- ٤٩٠، قال د.محمد التركي في هامشه:" حديث صحيح"،والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٦/٢- ٢٤٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٨٤٨): ٣٩٨/٦، قال الهيثمي:" ورجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث:١٢٤٦٠): ٦٣٥/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" حسن".

يقبض العلم منهم، ويكثر فيهم ولد الحنث، ويظهر فيهم الصقارون(١)، قالوا: وما الصقارون يا رسول الله؟ قال: بشر يكون في آخر الزمان تحيتهم بينهم التلاعن"(٢)، وهؤلاء البشر المرذولين كثيرون جدًا في زماننا إذا تلاقوا كانت تحيتهم بينهم التلاعن والرمي بالكفر أو الفجور، أو اليهودية، أو النصرانية، أو نحو ذلك من الألفاظ القبيحة، وقد سمعنا ذلك منهم كثيرًا، وهو كثير في الفلاحين، والبقّالين، والسفلة من الناس، وغيرهم، وهذا بدوره يكون أحد أسباب رفع الألفة، ووقوع التناكر بين الناس المشار إليه في علامات الساعة.

المطلب الثالث: التناكر بين الناس:

كما في الحديث الذي رواه حذيفة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال:" علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها، وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال: بلسان الحبشة القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحدًا"(٣)، وهذا التناكر بين الناس وعدم معرفة أحد أحدًا موجود في أكثر المدن حيث يسكن الرجل بجانب الرجل في شقة ملاصقة له وهو لا يبعد عنه سوى أمتار، ولسنوات عدة لا يعرف بعضهم بعضًا، ولا يزور

---

(١) الصقار: اللعان لمن لا يستحق اللعن، سمي بذلك؛ لأنه يضرب الناس بلسانه، من الصقر وهو ضربك الصخرة بالصاقور وهو المعول. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣٧٧/٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٦٢٨): ٣٩١/٢٤، قال الهيثمي:" رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة، وزبان؛ وكلاهما ضعيف وقد وثقا". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ٩٨٩): ٤٧٤/١، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده ضعيف".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٣٣٠٦): ٣٣٥/٣٨، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره".

بعضهم بعضًا، ولا يسأل بعضهم عن بعض، وإنما كل واحد منهم منشغل بنفسه، ووقوع التناكر وعدم الألفة يؤدي إلى جفاف قلوب الناس، وغلظتها ونزع الرحمة منها، وعدم الاكتراث بمصالح الآخرين؛ بل كل إنسان يعمل لحظوظ نفسه، وخصوصًا حين تستولي المادة على النفوس، وكل ذلك خلاف التعاليم الإسلامية التي تؤكد على الأخوة الإيمانية، والتعاون على البر والتقوى.

المطلب الرابع: ظهور البدع المخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية:

فقد ظهر ما هو أسوأ من إماتة السنن والتهاون بها، ألا وهو ظهور البدع والضلال المخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية في كل مجالات الحياة، فقد أخبر الرسول ﷺ بظهور الفئة التي تدعو لهذه البدع، ووقعت في وقت مبكر، واستمرت حيث تتنوع البدع والضلال في كل عصر، فقد قال حذيفة ﷺ: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير؛ وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال:" نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب جهنم؛ من أجابهم إليها قذفوه فيها؛ قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها؛ ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"(١)، وكذلك ما رواه أبو سعيد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (الحديث: ٣٦٠٦): ١٩٩/٤، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم

الخدري ﷺ، وأنس بن مالك ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال:" سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون(١) حتى يرتد(٢) على فُوقه(٣)، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا: يا رسول الله، ما سيماهم؟ قال: التحليق"(٤)، والمعنى لا يتجاوز أثر قراءتهم عن مخارج الحروف والأصوات، ولا يتعدى إلى القلوب، أو المعنى إن قراءتهم لا يرفعها الله تعالى ولا يقبلها، فكأنها لم تتجاوز حلوقهم(٥)، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:" ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة؛ حتى تُحيى البدع، وتموت السنن"(٦)، (٧).

الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (الحديث: ١٨٤٧): ١٤٧٥/٣.

(١) أي إلى الدين لإصرارهم على بطلانهم. ينظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٧٨/١٣.

(٢) أي يرجع السهم. ينظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٧٨/١٣.

(٣) أي موضع الوتر من السهم؛ وهذا تعليق بالمحال فإن ارتداد السهم على الفوق محال. ينظر: عون المعبود: العظيم آبادي: ٧٨/١٣.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، (الحديث: ٤٧٦٥): ٢٤٣/٤، واللفظ له، وقال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود، له: ١٦٩/٣، ورواه ابن ماجه مختصرًا، في كتاب فضائل القرآن، باب من قال في القرآن بغير علم (الحديث: ١٧٥): ٦٢/١، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٣٣٣٨): ٥١/٢١، قال الأرنؤوط في هامشه:" إسناده عن أنس ڤ صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين".

(٥) عون المعبود: العظيم آبادي: ٧٨/١٣.

(٦) رواه الطبراني في الكبير، (الحديث: ١٠٦٣٢): ٢٦٢/١٠، قال الهيثمي:" رجاله موثقون". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث:٨٩٥): ٤٤٨/١.

(٧) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٤، ١١٨، ١٢١، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٧٧/١- ٣٨٠، ٤٤٧- ٤٤٨، اليوم

المبحث الحادي عشر: ظهور الفحش وقطع الرحم وسوء الجوار

أخبرنا رسول الله ﷺ بسوء العلاقات الاجتماعية والأسرية بين الناس، وهذا السوء ينتشر قولًا وفعلًا، بحيث لا ترى إلا العلاقات السيئة بين الناس بشكل عام، وبين الأرحام والجيران بشكل خاص، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:"...ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش(١)، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، وحتى يؤتمن الخائن، ويخون الأمين"(٢)، وهذا الحديث يبيّن أن قطع الرحم من علامات الساعة وأشراطها؛ وكل ذلك ظهر، ولا زال في ازدياد، وكثر الفحش بكل أنواعه من القول والفعل، فقلما يجلس الناس مجلسًا يخلو من كلام فاحش، سواء مجالس الرجال أو النساء، وكذلك قطع الأرحام من قرابات الأصول كالأب والأم، والجد والجدة، مهما علون، وأولادهما كالإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولادهما، أو قرابات الفروع مهما نزلن كالابن والبنت،

الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٩٢/١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٦١- ٦٤، ١٠٨- ١١٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٦- ٢٧٨، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٨٢- ١٨٣، ١٩١- ١٩٣، ٢٠٠- ٢٠١، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٨٦- ٨٧، ٢٤٢- ٢٤٤.

(١) كل خصلة قبيحة منهي عنها فاحشة في الأقوال والأفعال، فالفاحش: ذو الفحش في كلامه وفعاله، والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤١٥/٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦٥١٤): ٦٣/١١، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٥٦٦): ٥٥٨/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص:"صحيح".

وأولادهما، فقد ذهب أكثر التواصل والتراحم والتزاور، فتمر الشهور والسنون وهم في بلد واحد، فلا يتزاورون، ولا يتواصلون، فضلًا عن التدابر والتحاسد، فقد تخلى معظم الناس عن أقرب المقربين لهم، ووجدوا في صلة الرحم أعباء وتكاليف تستنفذ شيئًا من وقتهم أو مالهم، وما ذاك إلا لضعف الإيمان، وأما سوء الجوار؛ فهو حاصل فلا تعارف، ولا تعاون، ولا تفقد لأحوال، ولا يعلم الجار ما يحل بجاره من خير أو شر، وربما لا يكفّ شره عنه، وكل ذلك منهي عنه، وأنه من علامات الساعة(١).

المبحث الثاني عشر: ظهور المحرمات والفواحش واستحلالها

أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة استحلال المحرمات والفواحش، وارتكابها، والمجاهرة بها، وظهور هذه الأشراط نتيجة طبيعية لقلة الإيمان أو انعدامه، فقلّ الحياء واستحلت المحرمات، ومن هذه المحرمات الزنى الذي ظهر وفشا وكثر بين الناس، وقوانين أكثر الدول الإسلامية لا تجرم من يقترف الزنى، فهو حرية شخصية، حتى غدا ظاهرة طبيعية بل مرخص لها في بعض البلدان الإسلامية، فضلًا عن البلدان غير الإسلامية، بحيث فتحت لها بيوت وأماكن خاصة بها، وبعضها تديرها شركات تجارية، وتنشرها بكل وسائل الإعلام

---

(١) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١١، ١١٤، ١١٨- ١١٩، ١٢٤، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٥٩/١، ٤٥٤، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٩٢/١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٠٨- ١١٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٧٩، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٦٤- ١٦٦، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٧٥- ١٧٦، ١٨٦- ١٨٧.

المتاحة؛ وخاصة المرئي منها، والمجلات، وهيئت لها كل الوسائل التي تؤدي إليها؛ كالاختلاط، والرقص، والصور المثيرة، والغناء الفاحش، وكل ما من شأنه أن يثير الغريزة ويدعو إلى الفحش، فقد روى أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنى"(١)، وخص النبي ﷺ هذه الأمور بالذكر؛ لإشعارها باختلاف الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش؛ والمعاد؛ وهي الدين؛ لأن رفع العلم يخل به؛ والعقل؛ لأن شرب الخمر يخل به؛ والنسب؛ لأن الزنا يخل به، والنفس والمال؛ لأن كثرة الفتن تخل بهما(٢)، يقول القرطبي:" ما أخبر به ﷺ ظهر أكثره، وشاع معظمه"(٣)، وإذا كان هذا في زمان القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ)، فهو في زماننا هذا أكثر ظهورًا؛ لعظم غلبة الجهل، وانتشار الفساد بين الناس، وسوف يتعدى الأمر بمجرد ظهور الزنى وانتشاره إلى استحلاله، كما روى أبو مالك الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر(٤)، والحرير، والخمر، والمعازف"(٥)، وهذا كله واقع، ويذكر العلماء هذه العلامة ضمن الأشراط الكبرى أو خلال الآيات الكبرى، ومرادهم بذلك أنها حالة عامة في ذلك الوقت، وهذا في الحقيقة حاصل في أكثر الدول غير الإسلامية، وإذا كثر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (الحديث:٨٠): ٤٣/١، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧١): ٢٠٥٦/٤.

(٢) فيض القدير: المناوي: ٥٣٣/٢.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧٩/١.

(٤) أي الفَرْجُ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٩٤١/١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، (الحديث: ٥٢٦٨): ٢١٢٣/٥.

الزنى وفشا وظهر في المجتمعات الإسلامية، فله نتيجة حتمية وهي ظهور وكثرة أولاد الزنى، وقد ورد في الحديث أن ذلك من أشراط الساعة، ونلاحظ بوادر ذلك في أن بعض الدول الإسلامية قد أصبح فيها ملاجئ ودور للقطاء ومجهولي النسب، على غرار الدول غير المسلمة، التي تعقد مؤتمرات لحل مشكلة أبناء الزنى، حتى إنه في إحدى الدول الأوروبية خلال عام واحد وجد ربع مليون لقيط، فكيف بعددهم في جميع تلك الدول؟ وهذا ما حذرنا من الوقوع فيه النبي ﷺ، فقد روى معاذ بن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" لا تزال الأمة على الشريعة ما لم يظهر فيها ثلاث؛ ما لم يقبض العلم منهم، ويكثر فيهم ولد الحنث، ويظهر فيهم الصقارون، قالوا: وما الصقارون يا رسول الله؟ قال: بشر يكون في آخر الزمان تحيتهم بينهم التلاعن"(١)، وكما روى عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" من أعلام الساعة وأشراطها...وأن تكثر أولاد الزنى"(٢).

ومن المحرمات التي استحلت، - واستحلالها من أشراط الساعة- شرب الخمر، وقد نص الحديث عليها قبل قليل، ويضاف إلى ما سبق من انتشار شربها وتحليلها، أنهم يسمونها بغير اسمها، ولها أسماء كثيرة، حتى سميت بالمشروبات الروحية، ونحو ذلك، وتحققت نبوءة النبي ﷺ، فقد روى أبو مالك الأشعري ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:" ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٦٢٨): ٣٩١/٢٤، قال الهيثمي:" رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة، وزبان؛ وكلاهما ضعيف وقد وثقا". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ٩٨٩): ٤٧٤/١، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده ضعيف".

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ٤٨٦١): ١٢٧/٥، قال الهيثمي:" وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٣٤): ٢٢٤/٧، وله شاهد من حديث معاذ بن أنس ﷺ السابق، ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره.

اسمها"(١)، فكل هذه المحرمات التي ذكرناها تسمى بغير اسمها تغطية لقبحها، فتحت اسم الفن والتمثيل تستباح كل الفجور والمنكرات، وكلما تقدم الزمن ازداد من يشربها، وهي تصنّع وتباع علنًا في الأماكن العامة في أغلب الدول الإسلامية، والأدهى من ذلك؛ أن بعض هذه الدول قد خففت العقوبة عن مرتكب الجرائم إذا كان بحالة سكر، ويلحق بالخمر المخدرات بكل أنواعها، وقد انتشرت بشكل كبير، وتفننوا بطرق تناولها من أكل، أو شرب، أو شم، أو احتقان، وأصبح خطر تعاطي المسكرات يهدد الأمة بأسرها بما له من آثار وخيمة لا حد لها، كالقتل، والعدوان، والزنى، وإفشاء الأسرار، وخيانة الأوطان...

وأما لبس الحرير؛ فهو واقع ويلبس الرجال ذلك دون أدنى حياء، والأعظم من ذلك هو استحلالهم لهذا المحرم، واستحلال الحرام جريمة من الجرائم، وكذلك من المحرمات التي ظهرت بكثرة وانتشرت واستحلت المعازف، فهذا لا يحتاج لكثير بيان، فقد شاعت هذه العلامة في وقت مبكر، وهي في ازدياد مطرد، فقد شاع كثرة المغنين والمغنيات، وأصبح الغناء ظاهرة مألوفة، استحله أكثر الناس، وتجاهلوا حرمة السماع، والأسوأ من ذلك أن الغناء والأدوات الموسيقية أصبحت تعلم في المدارس للطلاب والطالبات، ونلاحظ كثرة

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأشربة، باب في الداذي، حب يطرح في النبيذ فيشتد، (الحديث: ٣٦٨٨): ٣٥٤/٢، واللفظ له، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٤٢٠/٢- ٤٢١، ورواه النسائي في سننه عن رجل من أصحاب النبي ﷺ في كتاب الأشربة، باب نزلة الخمر، (الحديث: ٥٦٥٨): ٣١٢/٨، ورواه الدارمي في سننه عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب الأشربة، باب ما قيل في المسكر، (الحديث: ٢١٠٠): ١٥٥/٢، قال حسين أسد بهامشه:" إسناده حسن"، ورواه أحمد عن أبي مالك الأشعري ڤ، (الحديث: ٢٢٩٠٠): ٥٣٤/٣٧.

المهرجانات الغنائية من شرق العالم الإسلامي إلى غربه، وهي تكلف الأموال الطائلة، والشعوب الإسلامية بأمس الحاجة إليها، تنفق على المغنين والمغنيات المعروفين بانحلالهم الخلقي، وتسخر تلك الدول كافة مؤسساتها الإعلامية والأمنية من أجل الحفاظ على هذا العهر، وهذه المهرجانات ما هي إلا وسيلة من وسائل تدمير الأخلاق في البلاد الإسلامية، ومن المحرمات التي استحلت التعامل بالربا، وظهوره، وانتشاره، وكثرته، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" ليأتين على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا؛ فإن لم يأكله أصابه من غباره"(١)، ونحن نعيش هذا العصر فمن لم يأكل الربا أصابه غباره، فالرواتب والأموال كلها تمر بطريق البنوك الربوية؛ فلا تصل إلى الموظف، أو العامل، أو التاجر إلا عن طريق هذه البنوك، فأكل الناس الربا، ومن لم يأكله أصابه من غباره، وأغلب الدول الإسلامية اليوم إن لم يكن كلها تتعامل بالربا دون أية تحفظ منه، فأكثر البنوك والمصارف تتعامل به إلا ما ندر، ووقع كثير من المسلمين فيه فضلًا عن غيرهم، وظهر وشاع وانتشر منذ أمد بعيد في

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب البيوع، باب في اجتناب الشبهات، (الحديث:٣٣٣١): ٢٦٣/٢، واللفظ له، قال الألباني:"ضعيف". ينظر: ضعيف سنن أبي داود: له: ٢٧١، قال المنذري:" رواه أبو داود، وابن ماجه؛ كلاهما من رواية الحسن، عن أبي هريرة ڤ، واختلف في سماع الحسن، عن أبي هريرة ڤ، والجمهور على أنه لم يسمع منه". ينظر: الترغيب والترهيب، له، (الحديث: ٢٨٦٤): ٨/٣، ورواه النسائي في سننه في كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات في الكسب، (الحديث: ٤٤٥٥): ٢٤٣/٧، ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، (الحديث: ٢٢٧٨): ٧٦٥/٢، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب البيوع، (الحديث: ٢١٦٢): ١٣/٢، وقال:" قد اختلفت أئمتنا في سماع الحسن، عن أبي هريرة ڤ، فإن صح سماعه منه فهذا حديث صحيح"، وقال الذهبي في تلخيصه:" سماع الحسن، من أبي هريرة ڤ بهذا صحيح".

منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عندما أدخلته الدولة العثمانية المسلمة في معاملاتها، ثم تبعتها الدول الإسلامية الأخرى، وكذلك أكل المال الحرام الذي شدد الشرع في تحريمه، ودون التحري أهو من الحلال أم من الحرام؛ فهذا أيضًا من أشراط الساعة الذي وقع وما أكثره، وقد أخبر به النبي ﷺ وأنه سوف يكون، فقد روى أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" ليأتين على الناس زمان؛ لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام"(١)، وهذا الحديث ينطبق على كثير من المسلمين في هذا الزمن، فنجدهم لا يتحرّون الحلال في المكاسب، بل يجمعون المال من الحلال والحرام، وكذلك من يتعامل بالربا والمحرمات سواء على مستوى الأفراد أو الدول فإن الله تعالى يعاقب في الدنيا بخراب الاقتصاد والإفلاس، وما الأزمات الاقتصادية العالمية وإفلاس المصارف في زماننا إلا نوعًا من هذه العقوبات، وفي الآخرة عذاب شديد.

وإن استحلال ما ذكرنا عُدّ من أشراط الساعة؛ علمًا أن المعاصي والذنوب تقع من الإنسان الخطّاء، وذلك لأن النفوس بالفطرة تعرف المعروف وتنكر المنكر، لذا عند وقوعها للحرام وارتكابها له تستتر منه، أما الوصول إلى درجة استحلالها والمجاهرة والإعلان بها، والترويج لها على أنها مسألة طبيعية، أو أنها من الحرية الشخصية، فيعدّ ذلك انحرافًا عن الفطرة السوية مما جعله علامة من علامات الساعة(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، (الحديث: ١٩٥٤): ٧٢٦/٢.

(٢) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٣٣/١- ٣٨، ١٩١، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٣- ١١٦، ١١٨- ١١٩، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٨/١- ٣٥٣، ٣٥٧- ٣٦١، ٤١٤- ٤١٧، ٤٤٣- ٤٤٤،

المبحث الثالث عشر: ظهور الزلازل والخسف والمسخ والقذف والريح الحمراء

لقد جاء هذا الوعيد من رسول الله ﷺ بسبب انتشار المحرمات وشيوعها، واستحلالها، والمجاهرة بها، فكما عاقب الله تعالى الأمم السابقة من جراء المعاصي والذنوب التي أصروا عليها، وجاهروا بها، فكذلك من يصر من هذه الأمة على المعصية ولا يتوب منها، بل ويجاهر بها، فهنا يأتي العذاب من الله تعالى، والانتقام لمحارمه في الدنيا، وهذه العقوبات التي تظهر سواء بشكل زلازل أو صواعق أو خسف أو مسخ أو قذف أو ريح حمراء، فهي من أشراط الساعة، وسوف نتكلم على كل واحدة منها، ثم نأتي بالأمثلة عليها:

المطلب الأول: كثرة الزلازل والأمور العظام:

فقد أخبرنا النبي ﷺ أن الزلازل والأمور العظام من أشراط الساعة، ولم يحدد معصية معينة لهذا النوع من العقوبات، ويمكن أن تضاف عقوبة الزلازل لمن يرتكب المعاصي؛ كالزنى، وشرب الخمر، ولبس الحرير، وسماع المعازف، وغيرها المذكورة في الأحاديث الآتية التي نصت على عقوبتهم؛ بالخسف، والمسخ، والقذف، والريح الحمراء؛ فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

٤٥٦- ٤٦٢، ٤٦٥- ٤٦٩، ٥٣٤- ٥٤١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٠٤- ١٠٧، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٨٠- ٢٨٤، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٣٨- ١٤٦، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: ٦٠- ٦٢، ٧١- ٧٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٤٤- ١٤٦، ١٤٨- ١٥٠، ١٥٦- ١٦١، ١٦٨- ١٧٥، ٢٢٦- ٢٢٨.

ﷺ:" لا تقوم الساعة...ومنها: وتكثر الزلازل"(١)، وكما روى عبد الله بن حوالة ﷺ قال:.. ثم وضع رسول الله ﷺ يدي على رأسي فقال:" يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل، والبلابل، والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك"(٢)، والأمثلة على الزلازل في التاريخ كثيرة؛ فمنها: ما وقع في خلافة المعتضد سنة (٢٠٨هـ) وقعت في الديبل زلزلة عظيمة، هدّمت عامة البلد، فمات قرابة مائة وخمسين ألفًا، وفي خلافة المتوكل سنة (٢٣٢هـ) زلزلة مهولة بدمشق، سقطت منها دور، وهلك تحتها خلق، وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل، فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفًا، وفي سنة (٢٤٢هـ) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، وخراسان، ونيسابور، وطبرستان، وأصبهان، وتقطعت الجبال، وتشققت الأرض، وفي سنة (٢٤٥هـ) عمّت الزلازل الدنيا؛ فأُخربت المدن، والقلاع، والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر، وفي سنة (٢٦٦هـ) وقع بالبصرة زلازل، مات آلاف من الناس، ووقعت في سنة (٤٣٣هـ) زلزلة عظيمة، فأهلكت خلائق كثيرة، وفي سنة (٤٦٠هـ) وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها، حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرين ألفًا، وبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب خروج النار، (الحديث: ٦٧٠٤): ٢٦٠٥/٦.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة، (الحديث:٢٥٣٥): ٢٣/٢،، قال الألباني:"صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ١٠٦/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢٤٨٧): ١٥١/٣٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" ضعيف"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٠٩): ٤٧١/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

يلتقطون، فرجع الماء عليهم فأهلكهم، وفي سنة (٥٠٢هـ) وقعت زلازل عظيمة بالشام، وحلب، وشيراز، وأنطاكية، وطرابلس، وهلك خلق كثير، وخربت صيدا، وبيروت، وطرابلس، وعكا، وصور، وجميع بلاد الفرنج، وانفرق البحر إلى قبرص، وقذف المراكب إلى ساحله، وتعدى إلى ناحية الشرق، ومات خلق كثير قرابة مليون ومائة ألف إنسان، وفي سنة (٥٤٤هـ) وقعت زلزلة عظيمة، وماجت بغداد نحو عشر مرات، وتقطع بحلوان منها جبل، وفي سنة (٥٩٧هـ) جاءت زلزلة كبرى بمصر، والشام، والجزيرة، فأخربت أماكن كثيرة، وقلاعًا متعددة، وفي سنة (٦٦٢هـ) زلزلت مصر زلزلة عظيمة، وقد مرت الزلزلة الواقعة بالمدينة قبل خروج النار بها، وفي سنة (٩٢٢هـ) وقع في بازرنكان زلزلة عظيمة، وهلك بسببها ناس كثير، فهذه هي الزلازل العظام، أما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر.

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:" قد وقع في كثير من البلاد الشمالية، والشرقية، والغربية؛ كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها"(١)، وإذا كان هذا في زمان الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢هـ)؛ فهو في زماننا هذا أكثر ظهورًا، لعظم غلبة المعاصي، وانتشار الفساد بين الناس، ومن نظر في هذا العالم الذي نعيشه لانجد يومًا من الأيام إلا وفيه زلزلة، وبعض الزلازل مدمر لمناطق كاملة، مثل زلازل الجزائر، ومدينة الأصنام فيها، ومدينة أغادير بالمغرب، وما حدث في بعض جزر إندونيسيا، وإيران، والصين، وتركيا، وغيرها.

المطلب الثاني: كثرة الصواعق:

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٨٧/١٣.

ذكر لنا النبي ﷺ أن ذلك من أشراط الساعة، فقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة؛ حتى يأتي الرجل القوم فيقول: من صعق تلكم الغداة، فيقولون: صعق فلان وفلان"(١).

المطلب الثالث: الخسف والمسخ والقذف والريح الحمراء:

فقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذه البلايا من أشراط الساعة، والروايات في الأحاديث التي جاءت في هذا الأمر متعددة الصيغ، وذلك كما يلي:

أولًا: الأحاديث العامة التي لم تحدد معصية معينة: كما في رواية عبد الله بن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال:" بين يدي الساعة مسخ، وخسف، وقذف"(٢).

ثانيًا: الأحاديث الخاصة بأناس معينين دون تحديد معصية معينة: فقد روى صحار العبدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل، فيقال: من بقي من بني فلان؟ قال: فعرفت حين قال: قبائل أنها العرب؛ لأن العجم تنسب إلى قراها"(٣)، وهذا يبين أن الخسف من علامات الساعة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١١٦٢٠): ١٦٣/١٨، قال الهيثمي:" رواه أحمد عن محمد بن مصعب؛ وهو ضعيف". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٥٨٤): ١٨/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" صحيح"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٧٣): ٤٩١/٤، وقال:" صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في تلخيصه:" عمارة ثقة لم يخرّجوا له".

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب الخسوف، (الحديث: ٤٠٥٩): ١٣٤٩/٢، واللفظ له، قال البوصيري:" هذا إسناد رجاله ثقات؛ إلا أنه منقطع سيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق بن شهاب، قاله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، وله شاهد من حديث أبي هريرة ﷺ رواه ابن حبان في صحيحه". ينظر: مصباح الزجاجة، له، (الحديث: ١٤٤٣): ٣١٠/٢، قال الألباني:"صحيح". ينظر: صحيح سنن ابن ماجه: له: ٣٢٩/٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٥٩٥٦): ٣١٣/٢٥، قال الهيثمي:" رواه أحمد، والطبراني، وأبو يعلى، والبزار، ورجاله ثقات". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٥٨٢): ١٨/٧،

ثالثًا: الأحاديث الخاصة بعقوبة الزنادقة والقدرية: فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنه سيكون في أمتي مسخ، وقذف، وهو في الزندقية والقدرية"(١)، وفي رواية ثانية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام؛ فقال له: إنه بلغني أنه قد أحدث؛ فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" يكون في هذه الأمة أو في أمتي - الشك منه – خسف، أو مسخ، أو قذف في أهل القدر"(٢).

رابعًا: الأحاديث الخاصة بعقوبة بلد محدد على معاصي تصدر منهم: كما روى أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال له:" يا أنس، إن الناس يمصرون أمصارًا، وإن مصرًا منها يقال له: البصرة أو البصيرة؛ فإن أنت مررت بها أو دخلتها؛ فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف، وقذف، ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير"(٣).

خامسًا: الأحاديث الخاصة بعقوبة من يقوم ببعض المعاصي والذنوب: مثل: الزنى، ولبس الحرير، وشرب الخمر، وسماع المعازف، وغيرها دون تحديد

قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده ضعيف".

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦٢٠٨): ٣٤١/١٠، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح"، ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١١٨٥٨): ١٢٥/٧، وقال الأرناؤوط في هامش المسند:" ضعيف، أبو صخر هو حميد بن صخر مختلف فيه، وهذا الكلام مما أنكر عليه".

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب القدر، باب (١٦)، (الحديث: ٢١٥٢): ٤٥٦/٤، وقال:" هذا حديث حسن صحيح غريب"، وقال الألباني:" حسن". ينظر: صحيح سنن ابن ماجه: له: ٤٤٨/٢- ٤٤٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب في ذكر البصرة، (الحديث: ٤٣٠٧): ٥١٦/٢، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٢٧/٣.

أشخاص أو أمكنة: فقد روى أبو عامر الأشعري ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول:"ليكونن من أمتي أقوام يستحلون(١) الحر، والحرير، والخمر، والمعازف(٢)، ولينزلن أقوام إلى جنب علَم(٣) يروح عليهم بسارحة لهم(٤) يأتيهم - يعني الفقير- لحاجة، فيقولوا: ارجع إلينا غدًا فيبيتهم الله(٥) ويضع العَلَم(٦)، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة"(٧)، وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه؛ وأن الحكم يدور مع العلة،

---

(١) يحتمل أن يكون المعنى أنهم يعتقدون ذلك حلالًا؛ ويحتمل أن يكون ذلك مجازًا على الاسترسال؛ أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال؛ وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٥/١٠.

(٢) هي آلات الملاهي، والغناء، وآلات اللهو؛ ويطلق على كل لعب عزف. ينظر: فتح الباري: ابن حجر: ٥٥/١٠، وينظر: أحاديث المعازف: حجيتها وأثرها في الفقه الإسلامي: د.طارق محمد الطواري، مجلة كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بالقاهرة، العدد (٢٦): ٤٤١-٤٩٥، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بجامعة الأزهر بالقاهرة، العدد (١٢): ٩١-١٣٥.

(٣) هو المثار والجبل، والجبل العالي، وقيل: رأس الجبل. ينظر: النهاية: ابن الأثير: ٢٩٢/٣، فتح الباري: ابن حجر: ٥٥/١٠.

(٤) يروح عليهم: بحذف الفاعل وهو الراعي؛ بقرينة المقام إذ السارحة لا بد لها من حافظ؛ والسارحة هي التي تسرح بالغداة إلى رعيها، وتروح أي ترجع بالعشي إلى مألفها؛ والتقدير الآتي أو الراعي أو المحتاج أو الرجل. ينظر:فتح الباري: ابن حجر: ٥٥/١٠.

(٥) أي يهلكهم الله تعالى ليلًا. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٦/١٠.

(٦) أي يوقعه عليهم، إن كان العلم جبلًا فيدكه، وإن كان بناء فيهدمه، ونحو ذلك، وقيل: بكسر العين وسكون اللام (وضع العِلْم) إما بذهاب أهله، وإما بإهانة أهله بتسليط الفجرة عليهم. ينظر: فتح الباري: ابن حجر: ٥٦/١٠.

(٧) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، (الحديث: ٥٢٦٨): ٢١٢٣/٥.

والعلة في تحريم الخمر الإسكار؛ فمهما وجد الإسكار وجد التحريم؛ ولو لم يستمر الاسم، وهذا أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها؛ ردًا على من حمله على اللفظ(١)، وأيضًا ما رواه عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" في هذه الأمة خسف، ومسخ، وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت القيان، والمعازف، وشربت الخمور"(٢).

ونبدأ بالخسف؛ فإن الأمثلة عليه في التاريخ كثيرة، فقد وُجِد في مواضع في الشرق والغرب قبل عصرنا هذا(٣)، ففي زمن الدولة الأموية في خلافة سليمان عبد الملك (٩٦- ٩٨هـ)، فقد وقع في بخارى خسف عظيم، لا يدرك له قرار، يصعد منه دخان أسود، وفي زمن الدولة العباسية، في سنة (٢٠٨هـ) خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب، وفي سنة (٣٣٤هـ) وقعت زلزلة في مدينة غرناطة، وفي خلافة المطيع في سنة (٣٤٦هـ) وقع بالريّ (طهران حاليًا) ونواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقان، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الريّ، وتفجرت فيها المياه، وتقطع بالريّ جبل، وانخرقت الأرض خروقًا عظيمة، وخرج منها مياه منتنة، ودخان عظيم، وفي سنة (٥٣٣هـ) خسف بلد بحيرة، وصار مكان البلد ماء أسود، وفي سنة (٥٩٧هـ) خسفت قرية من أعمال

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٦/١٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، (الحديث: ٢٢١٢): ٤٩٥/٤، وقال:" هذا حديث غريب"، وقال الألباني:" حسن". ينظر: صحيح سنن الترمذي: له: ٤٧٩/٢.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر: ٨٤/١٣، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: ٧٧٨.

بصرى، وخسف بعدة قرى من ناحية أذربيجان، وخراسان من ديار العجم، ولا تكاد تنحصر الخسوفات، ووقع في هذا الزمن كثير من الخسوفات في أماكن متفرقة من الأرض، وهي نذير بين يدي عذاب شديد، وتخويف من الله عز وجل لعباده، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي؛ كي يعتبر الناس بهم، ويرجعوا إلى ربّهم، ويعلموا أن الساعة قد اقتربت، وأنه لا ملجأ من الله تعالى إلا إليه.

وأما المسخ؛ فيكون حقيقيًا، ويكون معنويًا، ولكن الراجح أنه مسخ حقيقي إلى صورة قرد أو خنزير، وليس مسخًا معنويًا فقط، وهو ما ذهب إليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وغيره من أئمة التفسير والحديث، وذكر غير واحد أنه مسخهم خنازير، وهذا القول مروي عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، والباقر، وأبي مالك(١)، وذهب مجاهد، وأبو العالية، وقتادة إلى أن المسخ معنويًا، وأنه لقلوبهم، ولم يمسخوا قردة أو خنازير، أو هو مسخ في العقل، أو في الأخلاق، أو في التصرفات، أو في طبيعة الحياة، وتبع هذا القول بعض العلماء المعاصرين(٢)، وقد أورد بعض العلماء في كتبهم وقوع المسخ لبعض الأشخاص، فقد صح الخبر عن غير واحد؛ أن ذلك وقع لأشخاص في زمن الدولة الفاطمية الشيعية الباطنية في مصر، وبعض بلاد الشام، وغيرها، وقد رجح الحافظ ابن حجر العسقلاني القول بالمسخ الحقيقي فقال:"يحتمل الحقيقة كما وقع للأمم السالفة، ويحتمل أن

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ١٧١/٢، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي: ٤١٩/٦١، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي: ١٧٩/١.

(٢) روح المعاني: الألوسي: ٢٨٣/١، تفسير المنار: رشيد رضا: ٣٤٣/١-٣٤٤، علامات الساعة من منظور عصري: القضاة: ١٧٥، ٢٥٦.

يكون كناية عن تبدل أخلاقهم، والأول أليق بالسياق"(١).

وأما القذف؛ فهو إما بصواعق، أو أمطار، أو برد، أو أحجار مدمرة من السماء، فمثلًا في سنة (٢٤١هـ) ماجت النجوم في السماء، وتناثرت الكواكب؛ كالجراد أكثر الليل، وكان أمرًا مزعجًا لم يعهد مثله، وفي سنة (٢٤٢هـ) رجمت قرية السويداء بالحجارة، وزن حجر من الحجارة عشرة أرطال، وفي سنة (٢٨٥هـ) مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء، ووقع برد كبير عليها، وفي سنة (٣٢٣هـ) في خلافة الراضي انقضت النجوم سائر الليل انقضاضًا عظيمًا ما رؤي مثله، وقد وقع بعد ذلك كثيرًا من النجوم، والشهب على الناس وقتلتهم، وفي سنة (٤٧٨هـ) في خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد، واشتد الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كالمطر، وفي سنة (٥٩٣هـ) في إحدى البلاد الإسلامية، انقض كوكب عظيم؛ سمع لانقضاضه صوت هائل، واهتزت الدور والأماكن، فاستغاث الناس، وأعلنوا بالدعاء، وظنوا أنه من أمارات يوم القيامة، وفي سنة (١٠٦١هـ) مطرت حجارة سوداء كثيرة عريضة قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف، والسماء مصحية ببلاد الأكراد.

وهناك تفسير معاصر للقذف، وهو إلقاء بقنابل من صنع الإنسان، تقذف من الطائرات على المدن، وتقتل آلاف الناس، كما حصل في الحروب العالمية الأولى والثانية، والحروب التي بين بعض الدول، فمثلًا أثناء الحرب العراقية الإيرانية، قد خربت مدينة البصرة من السماء بالقذائف، وكذلك أثناء حرب الخليج الثانية خلال خروج العراق من الكويت، حيث كانت القنابل تتساقط عليها من السماء فتنفجر فتحدث خسفًا ورجفًا فيها، وقد دمر قسم كبير منها، وقد كان

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٦/١٠.

في البصرة قبل هذه الحروب بيوت للدعارة، والخمر، والميسر، وهذا التأويل وإن كان بعيدًا فهو محتمل، ولا يصح قصر معنى الحديث على هذا المعنى فقط؛ لأن الأحاديث كلية والمعاني هذه جزئية.

وأما الريح الشديدة، ففي سنة (٢٠٨هـ) في خلافة المعتضد؛ أصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر، فهبت ريح سوداء، وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة بلد الدثيل، وفي سنة (٢٣٢هـ) في أول خلافة المتوكل هبت بالعراق ريح شديدة السموم، ولم يعهد مثلها، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يومًا، واتصلت بهمذان فأحرقت الزرع والمواشي، واتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرقات، وأهلكت خلقًا عظيمًا، وفي سنة (٢٨٥هـ) هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم صارت سوداء، وامتدت في الأمصار، وفي خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء لبغداد، واشتد الرعد والبرق؛ حتى ظن أنها القيامة، وفي خلافة الخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله (٤٨٧- ٥١٢هـ)؛ هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت الأنفاس، حتى لا يبصر الرجل يده، ونزل على الناس رمل، وفي سنة (٥٢٤هـ) طلعت سحابة على بلد الموصل، فأمطرت نارًا وأحرقت ما نزلت عليه، وفي سنة (٥٩٦هـ) هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا، ووقع على الناس رمل أحمر، وفي سنة (٨٢٦هـ) في ولاية السلطان الأشرف برسباي في دولة المماليك، هبت بمصر ريح تحمل ترابًا أصفر إلى الحمرة، وكانت سببًا في إتلاف الزرع وغلاء السعر.

وأما الأمور العظام، مثل: القحط الشديد، فقد وقع مرات عديدة؛ كما في سنة (٢٣٨هـ) في خلافة المتوكل سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء،

فمات منها خلق، وفي سنة (٢٦٦هـ) بعد ثورة الزنج؛ وقع غلاء مفرط بالحجاز، والعراق، وفي زمن الظاهر العبيدي (٤١١- ٤٢٧هـ)، فقد وقع بمصر الغلاء الذي لم يقع مثله منذ زمن يوسف عليه السلام، ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وقيل: بيع فيه الرغيف بخمسين دينارًا، وفي زمن المستنصر العبيدي (٤٢٧- ٤٧٨هـ)، فقد وقع بمصر أيضًا القحط سنين متوالية، حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وفي سنة (٤٥٨هـ) ظهر كوكب كأنه دارة القمر ليلة التمام بشعاع عظيم، وهال الناس ذلك، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوئه وغاب، وفي سنة (٤٦٠هـ) في خلافة القائم غرق بالرملة خلق كثير، وفي سنة (٤٦٦هـ) في خلافة القائم، كان الغرق العظيم ببغداد، وزاد ماء دجلة ثلاثين ذراعًا، ولم يقع مثل ذلك قط، وهلكت الأموال والأنفس والدواب، وانهدم مائة ألف دار، وفي خلافة المقتفي العباسي (٥٣٠- ٥٥٥هـ)، جاء مطر باليمن كله دم، وصارت الأرض مرشوشة بالدم، وبقي أثره في ثياب الناس، وفي سنة (٥٩٦هـ) كان بمصر الغلاء المفرط، بحيث أكلوا الجيف والآدميين، وهلك أهل القرى قاطبة، واستمر ذلك سنتين، وفي سنة (٦٥٢هـ) في خلافة المستعصم ظهرت نار في أرض عدن، وكان يطير شررها في الليل إلى البحر، ويصعد منها دخان عظيم في النهار، وفي سنة (٧١٨هـ) حصل بديار بكر، والموصل، وأربل، وماردين، والجزيرة، وميافارقين، وغيرها الغلاء العظيم، وخربت البلاد، وكثر الموت في الناس، وأكلوا الجيف والميتات، وفي سنة (١٠٧٥هـ) ظهر كوكب له ذنب، وبقي شهرًا أو أكثر، وكان يسير سيرًا أسرع من القمر، وفي سنة (١٤٠٦هـ) ظهر مرة أخرى، وكان من آثاره تغير الجو من الحرارة إلى البرودة، وهذا الكوكب ذو الذنب يظهر في كل بضع وثمانين سنة مرة، إلى غير ذلك من الأمور العظام

التي وقعت حتى وقتنا الحاضر، وهذه نماذج وأمثلة مما وقع من الزلازل، والصواعق، والخسف، والمسخ، والقذف، والريح الشديدة، والأمور العظام، وهذه العقوبات الإلهية التي تحدث في شتى أنحاء العالم، في الماضي والحاضر بسبب ما كسبت أيدي الناس(١).

المبحث الرابع عشر: تغير الأحوال وانقلاب الموازين واختلالها وارتقاء السفلة

يندرج تحت هذه العلامة أمور كثيرة تبدلت فيها القيم؛ مما يدل على فساد الأحوال، وكلها وقعت ومستمرة في ازدياد، كما وصفها المصطفى ﷺ؛ مما يدل على الإعجاز النبوي، وهي كما يلي:

المطلب الأول: إسناد الأمر إلى غير أهله، وهو من تضييع الأمانة:

فالرجل المناسب في المكان المناسب أحد القواعد المهمة التي لا تصلح حياة الناس بدونها، ولذلك فإن الفترات التي تولّى فيها الحكم أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتقى، فترات مضيئة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية، وأكبر مقتل يفسد نظام الحياة في المجتمع الإسلامي أن يتولى الحكم والولايات

---

(١) ينظر للتوسع: التذكرة: القرطبي: ٦٤٥، النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٣٦/١، ٣٨، ٥٧، ٧٠، ١٨٩- ١٩٠، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ٧٨- ٨٩، ٩١- ٩٢، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: التويجري: ٢٦٤/١، ٣٤٤، ٣٤٨- ٣٤٩، ٤٦٦، ٥٣٢- ٥٥٢، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٨٧/١- ١٨٩، صحيح أشراط الساعة: مصطفى الشلبي: ٧٧- ٧٨، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٣٢٤- ٣٢٥، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٧٢- ١٧٦، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٤٤- ١٤٦، ١٧٥، ٢١٤- ٢١٦، ٢٢٦- ٢٢٨، ٢٥٦.

والمناصب أقوام غير أكفاء يقودون الحياة بأهوائهم ورغباتهم ومصالحهم الشخصية، ويترك الأخيار القادرون على تسيير الأمور على النحو الأمثل والأفضل، وها نحن أولاء نشاهد البلايا العظام قد حلّت بأمة الإسلام، فقد تولى أمور بعض المسلمين رجال مستبدون لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، ولا همّ لهم إلا التمتع بالشهوات واللذائذ، ونشر البدع والمنكرات، واستغلال مناصبهم لجر المنافع الشخصية لهم ولقرابتهم من أهل السوء والفجور، والمحسوبيات على حساب أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتقى، وقد وردت أحاديث في هذا الأمر؛ فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"(١)، وفي رواية ثانية لأبي هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث؛ فقال بعض القوم: سمع ما قال؛ فكره ما قال؛ وقال بعضهم: بل لم يسمع؛ حتى إذ قضى حديثه قال:" أين - أراه - السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"(٢)، وإسناد الأمر أو توسده إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل، ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط؛ ومقتضاه: أن العلم ما دام قائمًا ففي الأمر فسحة، والمراد من الأمر جنس الأمور التي تتعلق بالدين؛ كالخلافة، والإمارة، والقضاء، والإفتاء، وغير ذلك، قال ابن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (الحديث: ٦١٣١): ٢٣٨٢/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، (الحديث:٥٩): ٣٣/١.

بطال:" معنى أسند الأمر إلى غير أهله؛ أن الأئمة قد ائتمنهم الله تعالى على عباده، وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها"(١).

المطلب الثاني: سيطرة الأشرار وارتفاع الأسافل على الأخيار:

فيكون الأمر والحكم بأيديهم، ويسير الناس على هواهم، وهو مظهر لانعكاس المفاهيم، كما أنه واقع في هذا الزمن غالبًا، حيث نجد مصير الناس بيد الأراذل والسفهاء، فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:" ألا إن من أشراط الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار؛ ألا إن من أشراط الساعة أن يظهر القول، ويحزن العمل؛ ألا إن من أشراط الساعة أن تتلى المثناة، فلا يوجد من يغيرها، قيل له: وما المثناة؟ قال: ما استكتب من كتاب غير القرآن، فعليكم بالقرآن فيه هديتم، وبه تجزون، وعنه تسألون"(٢)، وروى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع(٣) ابن لُكَع"(٤).

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني:٣٣٤/١١.

(٢) رواه الدارمي في سننه في المقدمة، باب من لم ير كتابة الحديث، (الحديث: ٤٧٦): ١٣٤/١، قال حسين سليم أسد في هامشه:"إسناده جيد"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٦٦١): ٥٩٧/٤، وقال:" صحيح الإسنادين جميعًا، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في تلخيصه:" صحيح".

(٣) أي العبد، ثم استعمل في الحمق، والذم، وهو اللئيم، وقيل: الوسخ، وقد يطلق على الصغير؛ فإن أطلق على الكبير أريد به صغير العلم، والعقل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢٦٨/٤.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب (٣٧) منه، (الحديث: ٢٢٠٩): ٤٩٣/٤، واللفظ له، وقال:" هذا حديث حسن غريب"، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح

المطلب الثالث: تولي الصبية لمقاليد الحكم والسلطة:

وهو من أشراط الساعة لما يترتب عليها من الإفساد، والهرج، وعدم التصرف بحكمة، فقد روى أنس بن مالك ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال:" إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم، قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالتكم"(١)، وكذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" هلكة أمتي(٢) على يدي غلمة من قريش"(٣)، وفي رواية ثانية لأبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" يهلك أمتي هذا الحي من قريش"(٤)، وهذه الأحاديث تشير إلى بعض الأسباب التي تؤدي لحدوث الفتن في صفوف المسلمين؛ وهو تولي الصبيان من غير ذوي الرشد والأحلام، أو الرجال الذين

سنن الترمذي: له: ٤٧٩/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٣٣٠٤): ٣٣٤/٣٨، قال الأرناؤوط في هامشه:" حسن لغيره".

(١) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب قوله تعالى:﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم﴾ ، (المائدة: ١٠٥)، (الحديث:٤٠١٥): ١٣٣١/٢، واللفظ له، قال البوصيري:" هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". ينظر: مصباح الزجاجة: له: ٢٨٣/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٢٩٤٣): ٢٧٣/٢٠، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده قوي".

(٢) المراد بالأمة هنا: أهل ذلك العصر، ومن قاربهم، لا جميع الأمة إلى يوم القيامة، وأن المراد بعض قريش وهم الأحداث منهم لا كلهم، والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك، والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس، ويكثر الخبط بتوالي الفتن، وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٠/١٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ:" هلاك أمتي على يدي أغيلمة سفهاء"، (الحديث:٦٦٤٩): ٢٥٨٩/٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (الحديث: ٢٩١٧): ٢٢٣٦/٤.

يحملون في عقولهم رؤوس الصبيان إلى السلطة والإمارة، أنهم بعدم خبرتهم يتسببون في الفتن؛ كما تدل بذلك الوقائع التاريخية عن الدولة الأموية، فقد صدرت من بعضهم الحوادث الجسام؛ كقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وموقعة الحرة، وغيرها من الدول على مر التاريخ الإسلامي، وحتى زمننا الحاضر، وهو ما حدّث به المصطفى ﷺ، ويعد من دلائل نبوته، ومعجزة من معجزاته الكثيرة.

المطلب الرابع: التحذير من إمارة السفهاء:

فقد حذر منها النبي ﷺ؛ لما فيها من هلاك العباد والبلاد، ولما فيها من توسيد وإسناد الأمر لغير أهله، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة ﷺ:"أعاذك الله من إمارة السفهاء، قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني.."(١)، وهذا الحديث درس لكل مسلم أن يحذر من طاعة أي مخلوق في معصية الخالق جلا وعلا.

المطلب الخامس: قبول قول الكاذب وتكذيب الصادق، ويؤتمن الخائن على الأموال والأعراض، ويخون الأمين ويتهم:

ويستلم السلطة، ويتكلم في القضايا التي تهم عامة الناس، الرجل التافه،

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٤٤٤١): ٣٣٢/٢٢، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ٩٢٦٣): ٤٤٥/٥، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده قوي على شرط مسلم".

والفويسق، والسفيه، والوضيع، والسافل، ومن لا يؤبه له، فلا يقدمون إلا الآراء الفجة، ولا يهدون إلا للأمور المعوجة، وهو يوضح الحديث السابق في ظهور الأشرار واختفاء الأخيار، وهذا ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" سيأتي على الناس سنوات خدّاعات(١)؛ يصدّق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة"(٢)، وفي رواية أنس بن مالك ﷺ، أن النبي ﷺ قال:"...الفويسق يتكلم في أمر العامة"(٣)، وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:"...السفيه يتكلم في أمر العامة"(٤)، وفي رواية عبد الله بن دينار ﷺ، أن النبي ﷺ قال:"...سفلة الناس"(٥)، وفي رواية عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"...من لا يؤبه له"(٦)، وكذلك ما رواه أبو

---

(١) أي تكثر فيها الأمطار، ويقل الريع فذلك خداعها؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر ثم تخلف، وقيل: الخداعة القليلة المطر. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ١٤/٢.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (الحديث: ٤٠٣٦): ١٣٣٩/٢، واللفظ له، قال الألباني:" فالحديث حسن". ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: له: ٥٠٨/٤- ٥٠٩، ورواه بنحوه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٤٣٩): ٥١٢/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي قي تلخيصه:" صحيح".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٣٢٩٨): ٢٤/٢١- ٢٥، قال الأرنؤوط في هامشه:" حديث حسن، وله شاهد من حديث أبي هريرة ڤ وهو حسن، وآخر من حديث عوف بن مالك ڤ".

(٤) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٧٩١٢): ٢٩١/١٣، قال الأرناؤوط في هامشه:" حديث حسن"، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٥٦٤): ٥٥٧/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي قي تلخيصه:"صحيح".

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني، باب أشراط الساعة، (الحديث: ٢٠٨٠٣): ٣٨٢/١١.

(٦) رواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ١٤٨٣٤): ٦٧/١٨، قال الهيثمي:" وفي أحسنها

هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنه قال:" والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والبخل، ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويهلك الوعول، ويظهر التحوت، فقالوا: يا رسول الله، وما الوعول؟ وما التحوت؟ قال: الوعول وجوه الناس وأشرافهم، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم"(١)، وهو في معنى الحديث السابق، والمتأمل في أحوال المسلمين اليوم يجد كل ذلك حاصلًا؛ كما أخبر رسول الله ﷺ، فالكذبة والخائنون يصدّقون، وأهل الصدق والأمانة يكذّبون، وتضيع الأمة الإسلامية أموالها في أيدي الخونة الكذبة ويؤتمنون عليها، ويخوّن الأمناء ولا يؤتمنون عليها، ويتكلم في الأمور العظام التافه، والفويسق، والسفيه، والسافل، ومن لا يؤبه له من الرجال، فيقود الناس إلى الهاوية والدمار، وحتى أن المسلمين يصدقون الكذبة من الكفار والمشركين الذين يملكون وكالات الأنباء والإذاعات، وأهل العدل والصدق يكذّبون، وهذه الأمور كلها مجتمعة هي التي أدت إلى اختلال المقاييس وضياع الحقوق، وبذلك أدى للضغط على أصحاب العقول العالمة المسلمة، فهاجر أكثرهم من أوطانهم إلى بلاد بعيدة، وقد بلغوا في بعض الإحصائيات ما يزيد عن ثلاثمائة ألف عالم مسلم هاجروا بسبب هذا الوضع الذي لا يطاق الذي أخبر به النبي ﷺ منذ أمد

ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٩): ٦٣٨/٧، ويرتقي الحديث إلى درجة الحسن لغيره؛ لشواهده السابقة.

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٦٤٤)، ٥٩٠/٤، وقال:" هذا حديث رواته كلهم مدنيون ممن لم ينسبوا إلى نوع من الجرح"، واللفظ له، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٣٧٦٧): ١٢١/٤، قال الهيثمي:" في الصحيح بعضه، ورواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن سليمان بن والبة ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٣٨): ٦٢٨/٧.

بعيد، وهذا يؤكده أيضًا ما رواه حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر:" أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت(١)، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل(٢)؛كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا(٣) وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان"(٤)، وهذا واقع عند بعض المسلمين في هذا العصر؛ فالأمانة قليلة، والرجل يُمدح وهو من أفسق الناس وأقلهم أمانة ودينًا، وربما أشد عداوة للمسلمين، ويعمل على هدم الإسلام، ونجد الآن من يتكلم عن الإسلام ظاهرًا، وهو في الحقيقة يحاربه.

المطلب السادس: التماس العلم عند الأصاغر:

وهذا من تغير الأحوال، وانقلاب الموازين، واختلالها، وهم أدعياء العلم الذين يتزينون بزي العلماء، وبعض هؤلاء يتهجمون على كبار الأئمة، والعلماء، من السابقين واللاحقين، وذلك ليظهروا أمام الناس على أنهم من أهل العلم

---

(١) أي الأثر اليسير، وقيل: هو سواد يسير. ينظر: المنهاج: النووي: ١٦٨/٢.

(٢) أي أثر العمل في اليد. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٩/١٣.

(٣) يقال: انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٩/١٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (الحديث: ٦١٣٢): ٢٣٨٢/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، (الحديث:٢٣٠): ١٢٦/١.

والفهم، فهم جهلة في أثواب علماء، وأصحاب أهواء في أثواب ناسكين، وهم كثير في مجتمعاتنا، وفسر ابن المبارك الأصاغر بأهل البدع، وقد بينت أحاديث هذا الأمر كما روى أبو أمية اللخمي- وقيل الجمحي- ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" إن من أشراط الساعة ثلاثًا: إحداهن: أن يلتمس العلم عند الأصاغر"(١)، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ:"...وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤهم، قليل فقهاؤهم، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون فيه الصلاة، يبدون أهواءهم قبل أعمالهم"(٢)، وهذا كله واقع في زماننا، قال الزرقاني:" عاب آخر الزمان بأن قرّاءه لا يفقهون ولا يعملون به، وإنما غايتهم منه تلاوته؛ وفيه أن كثرة القرّاء دليل على تغير الزمان..، وقال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه"(٣).

المطلب السابع: ظهور العلم في الفساق:

وهم الذين لا يخافون الله تعالى؛ فيرتكبون الكبائر ولا يتوبون، أو يصرون على الصغائر ولا يتوبون، ويصبح العلم عندهم للحصول على المنصب، أو الشهرة، أو المال، وليس هناك تطبيق له أو العمل به؛ كما روى أنس بن مالك ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال:" إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم، قلنا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ١٨٧٦٠): ٣٦١/٢٢، قال الألباني:" وهذا إسناد جيد". ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: له: ٣٠٩/٢- ٣١٠.

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، (الحديث: ٧١٤): ١٧٣/١، وهذا الموقوف له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيبيات التي لا تدرك بالعقل.

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ٥٠١/١.

قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالتكم(١)"،(٢)، وكذلك ما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة"(٣).

المطلب الثامن: تشبه الشيوخ بالشباب:

وهي المراهقة المتأخرة عند الرجال والنساء، وهي أصبحت ظاهرة في المسلمين، وذلك بصبغ لحاهم وشعورهم بالسواد، وهذا من انقلاب الموازين؛ فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد؛ كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة"(٤)، والمقصود من حواصل الحمام؛ هو تشبيه لحال بعض المسلمين في

---

(١) أي العلم في فساقكم. ينظر: مصباح الزجاجة: البوصيري: ٢٨٣/٢.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب قوله تعالى:﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُم﴾ ، (المائدة: ١٠٥)، (الحديث:٤٠١٥): ١٣٣١/٢، واللفظ له، قال البوصيري:" هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". ينظر: مصباح الزجاجة: له: ٢٨٣/٢، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٢٩٤٣): ٢٧٣/٢٠، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده قوي".

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، (الحديث: ٦٩٣٠): ٦٩٣٠/٩، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، (الحديث:١٠٦٦): ٧٤٦/٢.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب السواد، (الحديث: ٤٢١٢):٤٨٦/٢، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٥٤٧/٢، ورواه النسائي في سننه في كتاب الزينة، باب النهي عن الخضاب بالسواد، (الحديث: ٥٠٧٥): ١٣٨/٨، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٤٧٠): ٢٧٦/٤، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني:" إسناده قوي؛ إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه، وعلى تقدير ترجيح وقفه فمثله لا يقال

هذا العصر، فتجدهم يصنعون بلحاهم كهيئة الحمام، يحلقون عوارضهم، ويدعون ما على أذقانهم من الشعر، ثم يصبغونه بالسواد، فيغدو كحواصل الحمام، وكما روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:" يكون في آخر الزمان قوم يسودون أشعارهم؛ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة"(١)، فالأحاديث تشير إلى أنه في آخر الزمان سينتشر الصبغ والخضاب بالسواد؛ حتى يتشبب الكبار من الرجال والنساء، ويظهروا وكأنهم في ريعان الشباب، وحتى يكون في ذلك خديعة للناس، فالرجل يظهر وكأنه في مقتبل العمر، والمرأة وكأنها في ريعان الصبا، وهذا هو الخديعة بعينها، وقد نهى النبي ﷺ عن صبغ شعر الرأس واللحية بالسواد(٢)، وموضوع الخضاب بالحناء والكتم وهو السواد مثار خلاف

بالرأي فحكمه الرفع". ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٩٩/٦، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(١) رواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٣٨٠٣): ١٣٦/٤، قال الهيثمي:" إسناده جيد". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ٨٧٩٣): ١٩٣/٥، ورواه بمعناه عبد الرزاق في مصنفه عن مجاهد، في كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني، باب صباغ ونتف الشعر، (الحديث: ٢٠١٨٣): ١٥٥/١١.

(٢) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ١٦/١، ٦٠، ١٩٣- ١٩٤، ١٩٧، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١١- ١١٣، ١١٥- ١١٩، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ١٨٦/١- ١٩٤، ٣٤٧- ٣٥٣، ٣٥٥- ٣٥٧، ٣٦٠- ٣٦١، ٣٦٥- ٣٧٠، ٣٨٥- ٣٨٩، ٤٠٠- ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٤- ٤٢٥، ٤٤٨، ٥٣٤، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٧٨/١- ١٨٠، ١٩٣، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٨٨- ٩٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٨٤- ٢٨٧، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٣٠- ١٣١، ١٦٦- ١٦٨، ١٧٨- ١٨٢، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٥٣- ٥٩، ٧٩- ٨١، ١٩٣- ١٩٥، ٢٥٨، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: ٧٣- ٨١.

بين العلماء؛ وسأسلط الضوء عليه من خلال شراح الحديث فيه: فقد اختار الإمام النووي أن الصبغ بالسواد يكره كراهية تحريم؛ وأن الكراهة خاصة بالرجال دون النساء؛ فيجوز ذلك للمرأة لأجل زوجها؛ وقال مالك: الحناء والكتم واسع؛ والصبغ بغير السواد أحب إلي؛ ويستثنى من ذلك المجاهد اتفاقًا(١)، أما حديث أبي ذر ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم(٢)"(٣)، فهذا يحتمل أن يكون على التعاقب ويحتمل الجمع، وهو يدل على استحباب الخضاب بالحناء مخلوطًا بالكتم وهو يسود الشعر، وأجيب عنه: بأن الخلط يختلف؛ فإن غلب الكتم أسودّ؛ وكذا إن استويا؛ وإن غلب الحناء أحمرّ؛ والمراد بالخلط في الحديث إذا كان الحناء غالبًا على الكتم جمعًا بين الأحاديث؛ وفيه أن الحديث مطلق ليس مقيدًا بصورة دون صورة؛ ووجه الجمع ليس بمنحصر فيما ذكر، وقد قال أنس بن مالك ﷺ:" اختضب أبو بكر ﷺ بالحناء والكتم؛ واختضب عمر ﷺ بالحناء بحتًا"(٤)، أي صرفًا؛ وهذا يشعر بأن أبا بكر ﷺ كان يجمع بينهما دائمًا؛ والكتم نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة؛ وصبغ الحناء أحمر؛ فالصبغ بهما معًا يخرج بين السواد والحمرة؛ واستنبط ابن أبي عاصم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٤٩٩/٦.

(٢) الكتم إنما يسوّد منفردًا؛ فإذا ضم للحناء صير الشعر بين أحمر وأسود؛ والمنهي عنه الأسود البحت. ينظر: فيض القدير: المناوي: ٤١٧/٢.

(٣) رواه النسائي في سننه في كتاب الزينة، باب الخضاب بالحناء والكتم، (الحديث: ٥٠٨٠): ١٣٩/٨، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن النسائي: له: ٣٦٤/٣- ٣٦٥، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢١٣٣٧): ٢٦٥/٣٥، قال الأرناؤوط في هامشه:"حديث صحيح، وهذا إسناد حسن في المتابعات".

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب شيبه ﷺ، (الحديث: ٢٣٤١): ١٨٢١/٤.

بأبي قحافة ﷺ يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة(١) بياضًا، فقال رسول الله ﷺ:" غيّروا هذا بشيء، واجتنبوا السواد"(٢)، أي أن الخضاب بالسواد كان من عادتهم؛ وقد اختلف في الخضب وتركه؛ فخضب أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، وغيرهما؛ وترك الخضاب علي، وأبيّ بن كعب، وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك ﷺ، وجماعة؛ وجمع الطبري بأن من صبغ منهم كان كمن يستشنع شيبه؛ ومن ترك كان اللائق به كمن لا يستشنع شيبه؛ وعلى ذلك حمل في قصة أبي قحافة ﷺ؛ فذهبوا به فحمروه؛ فمن كان في مثل حال أبي قحافة ﷺ استحب له الخضاب؛ لأنه لا يحصل به الغرور لأحد؛ ومن كان بخلافه فلا يستحب في حقه؛ ولكن الخضاب مطلقًا أولى؛ لأن فيه امتثال الأمر في مخالفة أهل الكتاب، وفيه صيانة للشعر عن تعلق الغبار وغيره به؛ ولا يغير الخلقة على الناظر إليه، ويتأكد المنع لمن دلس به(٣).

وقد رخص في السواد طائفة من السلف منهم سعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والحسن، والحسين، وجرير ﷺ، وغير واحد؛ وأجيب عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:" يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد؛ كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة"(٤)، بأنه لا دلالة فيه على

---

(١) هو نبت أبيض الزهر، والثمر يشبّه به الشيب، وقيل: هي شجرة تبيض كأنها الثلج. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٢١٤/١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، (الحديث:٢١٠٢): ١٦٦٣/٣.

(٣) ينظر للتوسع: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٥٤/١٠- ٣٥٦.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب الترجل، باب ما جاء في خضاب السواد، (الحديث: ٤٢١٢):٤٨٦/٢، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٥٤٧/٢، ورواه النسائي في سننه في كتاب الزينة، باب النهي عن الخضاب بالسواد، (الحديث: ٥٠٧٥):

كراهة الخضاب بالسواد؛ بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم؛ وأن الوعيد الشديد المذكور في هذا الحديث ليس على الخضب بالسواد؛ بل على معصية أخرى، وعن حديث جابر ﷺ، أن النبي ﷺ قال:"... واجتنبوا السواد"(١)، بأنه في حق من صار شيب رأسه مستبشعًا؛ ولا يطرد ذلك في حق كل أحد، ومن أجاز الخضاب بالسواد؛ استدل بأحاديث تغيير الشيب بإطلاقه؛ ويشمل التغيير بالسواد أيضًا؛ ووقع في رواية أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"(٢)، قال الحافظ ابن أبي عاصم:" قوله: فخالفوهم؛ إباحة منه أن يغيروا الشيب بكل ما شاء المغير له؛ إذ لم يتضمن قوله: خالفوهم أن أصبغوا بكذا وكذا دون كذا وكذا"، وأحسن الأجوبة: أن الخضاب بالسواد المنهي عنه؛ خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية والمرأة الكبيرة؛ تغر الزوج والسيد بذلك؛ وخضاب الشيخ يغر المرأة بذلك؛ فإنه من الغش والخداع؛ بخلاف ما إذا لم يتضمن تدليسًا ولا خداعًا؛ وحاصله أن أحاديث النهي عن الخضب بالسواد؛ محمولة على التسويد البحت؛ والأحاديث التي تدل على إباحة الخضب بالسواد

١٣٨/٨، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٤٧٠): ٢٧٦/٤، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني:" إسناده قوي؛ إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه، وعلى تقدير ترجيح وقفه فمثله لا يقال بالرأي فحكمه الرفع". ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٤٩٩/٦، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، (الحديث:٢١٠٢): ١٦٦٣/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (الحديث: ٣٢٧٥): ١٢٧٥/٣، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب في مخالفة اليهود بالصبغ، (الحديث: ٢١٠٣): ١٦٦٣/٣.

محمولة على التسويد المخلوط بالحمرة(١).

المبحث الخامس عشر: في ضياع الأمانة وكتمان الحق

هذا الشرط نتيجة حتمية لانقلاب الأحوال والموازين وانعكاسها، وأشار إلى ذلك المصطفى ﷺ، وهذا ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث؛ فقال بعض القوم: سمع ما قال؛ فكره ما قال؛ وقال بعضهم: بل لم يسمع؛ حتى إذ قضى حديثه قال:" أين - أراه - السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"(٢)، والحديث يدل على فساد سرائر الناس الذي يؤدي إلى تولية الأمر لغير أهله؛ فيجنح به الهوى إلى بطر الحق، وغمط الناس، وظلمهم، فقد ظهر هذا الشرط وهو بازدياد، فلا يوضع المرء في المكان اللائق به، أو ما هو له أهل في غالب الأحوال؛ فيتولى الأشرار والمفسدون الأمر، وخصوصًا تقليد الوظائف الخطيرة لغير الأكفاء فتضيع حقوق الناس وتثار الفتن، والمقصود بضياع الأمانة هنا؛ الأمانة بالمعنى العام وليس حصرها في حفظ الودائع، بل هي أداء المسلم ما للعباد من مال وحقوق، فهي المسؤولية في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام الله تعالى.

المطلب الأول: ضياع الأمانة:

فقد ورد بعض الأحاديث النبوية في نزع الأمانة في آخر الزمان؛ كما روى

---

(١) ينظر للتوسع: تحفة الأحوذي: المباركفوري: ٥/٣٥٥-٣٦١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، (الحديث:٥٩): ١/٣٣.

حذيفة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر:" أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت(١)، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل(٢)؛ كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا(٣) وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان"(٤)، وأيضا روى عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، وربّ مصلٍ لا خير فيه"(٥)، وقد أخبرنا النبي ﷺ أن هذه الأمانة سترفع، وهذا الرفع تدريجي، فهي في زمن حذيفة ﷺ لاحظ شيئًا منه، ولكنه في زمننا هذا كثير، وهو يزداد بشكل مخيف ينذر بسوء الحال، وسيأتي زمان يكون أكثر مما نحن فيه، ففي هذا الحديث بيان أن

---

(١) أي الأثر اليسير، وقيل: هو سواد يسير. ينظر: المنهاج: النووي: ١٦٨/٢.

(٢) أي أثر العمل في اليد. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٩/١٣.

(٣) يقال: انتبر الجرح وانتفط إذا ورم وامتلأ ماء. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٩/١٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (الحديث: ٦١٣٢): ٢٣٨٢/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، (الحديث:٢٣٠): ١٢٦/١.

(٥) رواه الطبراني في معجمه الصغير، (الحديث: ٣٨٧): ٢٣٨/١، قال الهيثمي:" فيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين، وضعفه أبو زرعة، وبقية رجاله ثقات". ينظر: مجمع الزوائد: له، (الحديث: ١٢٤٢٧): ٦٢٢/٧، ويرتقي هذا الحديث إلى درجة الحسن لغيره؛ لأنه يشهد له حديث ابن مسعود ﷺ الصحيح ويقويه.

الأمانة سترفع من القلوب، حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته لله تعالى، وضعف إيمانه، وخالط أهل الخيانة، فيصير خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه، وهذا ما نقل عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال:" إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة.."(١)، وإذا ضاعت ورفعت وفقدت وقبضت، أو خفت على أقل تقدير؛ فهنا تحصل الفتنة، وما على المسلم إلا اعتزال الناس قدر الإمكان، وكذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:" كيف بكم وبزمان - أو يوشك أن يأتي زمان - يغربَل الناس فيه غربلة(٢)؟ تبقى حُثالة من الناس(٣)؛ قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا؛ وشبك بين أصابعه، فقالوا:كيف بنا يا رسول الله(٤)؟ قال: تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون(٥)، وتُقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم"(٦)، وفي الحديث إشارة الى

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٥٣٨): ٥٤٩/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في تلخيصه:" صحيح"، ورواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ٨٧١٩): ١٤١/٩، قال الهيثمي:" رجال الطبراني رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٥): ٦٣٦/٧، وهذا من الموقوف الذي له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيب الذي لا يدرك بالعقل.

(٢) أي يذهب في هذا الزمان خيارهم، ويبقى أراذلهم كأنه نقي بالغربال. ينظر: شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ٢٨٤/١.

(٣) أي أرذالهم. ينظر: شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ٢٨٤/١.

(٤) أي فما نفعل عند ذلك وبم تأمرنا. ينظر: شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ٢٨٤/١.

(٥) أي تأخذون ما تعرفون كونه حقًا، وتتركون ما تنكرون أنه غير حق. ينظر: شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ٢٨٤/١.

(٦) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (الحديث: ٤٣٤٢): ٥٢٧/٢، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٣٦/٣- ٣٧، ورواه ابن ماجه في سننه

أنه يهلك الصلحاء؛ ويبقى ما لا منفعة فيه؛ كما أن الغربال ينقى الدقيق ويبقى الحثالة بلا منفعة، وقد اختلطت وفسدت عهودهم وأماناتهم؛ فلا يكون أمرهم مستقيمًا؛ بل يكون كل واحد في كل لحظة على طبع، وعلى عهد، ينقضون العهود، ويخونون الأمانات، ويمزج بعضهم ببعض، ويلتبس عليهم أمر دينهم، فلا يعرف الأمين من الخائن، ولا البر من الفاجر، وفيه رخصة في ترك أمر المعروف إذا كثر الأشرار، وضعف الأخيار(١)، وهذا الضياع، والرفع، والفقد، والقبض للأمانة، وانتشار للخيانة، بحيث يأخذ المؤتمن أمانات الناس وودائعهم، ويتخذها مغانم؛ كأنما غنيمة وقعت في يديه؛ فهذا من أسباب البلاء على الأمة وهلاكها.

المطلب الثاني: كتمان الحق:

لأن من علامات ضياع الأمانة كتمان الحق، وله صور كثيرة؛ فيكون بالكذب الصريح، وقد ذكرت ذلك عند الكلام عن ظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة، وهي من أشراط الساعة التي ظهرت وهي مستمرة، وفي حديث آخر يذكر أن الكذب يكثر ليصبح شرطًا من أشراط الساعة أيضًا، ويكون الكذب على كل المستويات الفردية والجماعية، ووسائل الإعلام المختلفة، حتى يصل الأمر إلى الكذب على رسول الله ﷺ، وشهادة الزور والبهتان.

أولًا: انتشار الكذب الصريح: كما روى جابر بن سمرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم"(٢)، وأيضًا روى عوف بن مالك ﷺ

في كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، (الحديث: ٣٩٥٧): ١٣٠٧/٢.

(١) شرح سنن ابن ماجه: السيوطي: ٢٨٤/١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، (الحديث: ١٨٢٢): ١٤٥٣/٣.

قال لمعاذ بن جبل ﷺ: إن رسول الله ﷺ قال لي:"اعدد ستًا بين يدي الساعة؛ فقد كان منهن الثلاث وبقي الثلاث، فقال معاذ ﷺ: إن لهذا مدة، ولكن خمس أظللنكم من أدرك منهن شيئًا ثم استطاع أن يموت فليمت؛ أن يظهر التلاعن على المنابر، ويعطى مال الله على الكذب، والبهتان، وسفك الدماء بغير حق، وتقطع الأرحام، ويصبح العبد لا يدري أضال هو أم مهتد؟"(١)، وكذلك روى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يخطب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب فقال:"أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب..."(٢)، وينتشر الكذب ليصبح هو البديل عن الصدق، وخاصة في سبيل الحصول على المال، وكثرة الكذب يؤدي إلى انتشار القتل بين الناس؛ لأن الفتن مبنية غالبًا على الكذب، فإذا كذبت دولة أو شخص أدى ذلك إلى الحروب والدمار.

ثانيًا: انتشار الكذب على رسول الله ﷺ: ووضع الأحاديث المكذوبة ونسبها إليه، فهي أيضًا من أشراط الساعة، وهو من أخطر أنواع الكذب، وهذا الأمر ظهر وهو مستمر، والقصد منه تشويه العقيدة الإسلامية، والتلبيس على الناس أمر دينهم، ولغايات أخرى سياسية أو عصبية أو مذهبية، وقد حذر معلم البشرية

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٠٣): ٤٦٩/٤، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة"، وقال الذهبي في تلخيصه:" على شرط البخاري ومسلم".

(٢) رواه النسائي في سننه الكبرى في كتاب عشرة النساء، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر ﷺ فيه، (الحديث: ٩٢٢٢): ٣٨٧/٥، ورواه الحاكم في مستدركه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ في كتاب العلم، (الحديث: ٣٩٠): ١٩٩/١، قال الذهبي في تلخيصه:" وهذا صحيح"، ورواه أحمد في مسنده، عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ بلفظ:" يفشو الكذب"، (الحديث: ١١٤): ٢٦٨/١- ٢٦٩، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين".

ﷺ أمته من هؤلاء الدجالين، حتى لا يقعوا في مصائدهم الخبيثة، مما يؤدي إلى الانحراف والضلال، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم"(١)، وبذلك فقد كانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة؛ صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام، وأما الكذب، والتدليس، والافتراء فهي أمارات النفاق، وإذا كان الكذب بشكل عام رذيلة من الرذائل المحضة التي تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، فإن الكذب بشكل خاص على دين الله تعالى يعتبر من أقبح المنكرات، وأول ذلك نسبة شيء إلى الله عز وجل، أو إلى رسوله ﷺ ما لم يقله، فهذا النوع من الكذب فاحش في حقيقته، وخيم في نتيجته، وقد أوجب علماء الحديث التثبت من نقل الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وتمحيص الرواة؛ لمعرفة الثقة من غيره، وبسبب كثرة كذب الناس في هذا الزمان؛ صار الإنسان لا يميز بين الأخبار، فلا يعرف صحيحها من سقيمها، ويدخل في نطاق هذا الكذب سائر ما ابتدعه الجهال وأقحموه على دين الله تعالى من محدثات في الدين لا أصل لها، فضلّوا بذلك العوام؛ فحسبوها دينًا وما هي إلا كذب وافتراء على الدين، ومن أجل هذا حذر رسول الله ﷺ من الانقياد وراء هؤلاء الدجالين حتى لا يقعوا في حبائلهم الخبيثة، والله المستعان.

ثالثًا: شهادة الزور والبهتان: وهو من صور كتمان الحق؛ وهو كذب عمد قصده إبطال الحق، وهو من الكبائر، وتكثر شهادة الزور لأكل أموال الناس وحقوقهم بالباطل، وتكتم شهادة الحق، وقول الحق، ولذا فظهورها يعد شرطًا من

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، (الحديث: ٧): ١٢/١.

أشراط الساعة، فقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن بين يدي الساعة؛ تسليم الخاصة؛ وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة؛ وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"(١)، ونلاحظ أن شهادة الزور الكاذبة قد فشت في بعض المجتمعات الإسلامية؛ إما بدافع الحمية لمناصرة المشهود له بالباطل، وإما بدافع الطمع مما يأخذه من المشهود له مكافأة على كذبه الذي ليس له أساس من الصحة، غير مبال بما تجره هذه الشهادة الباطلة من تضييع الحقوق في الأموال والأعراض، وإزهاق للأرواح، وظهورها دليل على ضعف الإيمان، وعدم الخوف من الرحمن، وعواقب أخرى وخيمة تفسد الدنيا والدين، وقد ظهر مصداق هذه الأحاديث؛ كما لا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة، فقد شاع عدم التورع عن الكذب، ونقل الأقوال من غير تثبت من صحتها، في المجتمعات الإسلامية فضلًا عن غيرها، فنلاحظ كثرة الروايات والقصص المكذوبة، وزينت الكتب بذلك، واعتمد أكثر التجار وأهل الصناعات والأعمال في ترويج بضائعهم على الدعايات المكذوبة، كما يتوقف على شهادة الزور ضياع الحقوق، وزيادة الأحقاد والضغائن بين الناس(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٨٧٠): ٤١٥/٦- ٤١٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده حسن"، واللفظ له، وقال الهيثمي:"ورجال أحمد، والبزار، رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٢): ٣٢٩/٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأحكام، (الحديث: ٧٠٣٤): ١١٠/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، (الحديث: ١٢٦٧): ٤٨٩/٢- ٤٩٠، قال د.محمد التركي في هامشه:" حديث صحيح"،والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٦/٢- ٢٤٧.

(٢) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٣٥/١- ٣٨، ٥٤- ٥٥، ٨٧، ١٩٥،

المبحث السادس عشر: كثرة أعوان الظلمة وهم الشُرط

هذا الشرط له متطلب حتى يظهر؛ وهو وجود الحكام الظلمة المستبدون، وقد تكلمنا فيما سبق عن استلام السلطة اللئام، والأشرار، والأسافل، والفسّاق، والسفهاء، والصبية من الناس، فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" يكون عليكم أمراء هم شرّ من المجوس"(١)، وروى حذيفة ﷺ:" يكون عليكم أمراء يعذبونكم، ويعذبهم الله"(٢)، فهذا الوضع يؤهل لوجود أعوان ومساعدين ظلمة بحيث يكثرون كلما ازداد ظلمهم، وقد جاءت الأحاديث النبوية بالإخبار عن ظهور تلك الفئة الظالمة من الناس وكثرتها، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، كما روى أبو هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات

الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٤- ١١٥، ١١٩، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٩/١- ٣٥٠، ٣٦٢- ٣٦٣، ٤٠٠- ٤٠٢، ٤٣٠، ٥٠٦- ٥٠٧، ٥١٠- ٥١٢، ٥٣٩، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٨١/١- ١٨٢، ١٩٢، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٦٨- ٦٩، ٨٦- ٨٨، ١٠٨- ١١١، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٨٨- ٢٨٩، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٢٨- ١٣٠، ١٩٤- ١٩٧، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٩٦- ٩٨، ١٨٥، ١٨٩- ١٩٠، ٢٥٧، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: ٧٤- ٧٩.

(١) رواه الطبراني في معجمه الصغير، (الحديث: ١٠١٨): ١٩٦/٢، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح، خلا مؤمل بن إهاب وهو ثقة". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ٩١٩٤): ٤٢٣/٥.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٤٢): ٤٨٢/٤، قال الذهبي في تلخيصه:" على شرط البخاري ومسلم".

عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأمثال أسنمة البخت(١) المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من كذا وكذا"(٢)، قال الإمام النووي:" وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ، فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة"(٣)، أو هم أعوان السلطان، أو أعوان الظلمة، ويطلق غالبًا على أقبح جماعة الوالي ونحوه، وربما توسع في إطلاقه على ظلمة الحكام، وقد بيّن النبي ﷺ أن ذلك سيكون من أشراط الساعة، وفي رواية ثانية لأبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إن طالت بك مدة، أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر"(٤)، وفي رواية لأبي أمامة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" يكون في هذه الأمة في آخر الزمان، رجال - أو قال يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان - معهم سياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه"(٥)، وفسرت كلمة رجال بهذه الرواية بالشرطة، وهم الظلمة من الأعوان، وهو واقع، وفي رواية ثانية لأبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) أي يكبّرن رؤوسهن ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها. ينظر: المنهاج: النووي: ١١٠/١٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة، باب الكاسيات العاريات المائلات المميلات، (الحديث: ٢١٢٨): ١٦٨٠/٣.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٩٠/١٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، (الحديث: ٢٨٥٧): ٢١٩٣/٤.

(٥) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢١٥٠): ٤٦٧/٣٦، قال الهيثمي:" رجال أحمد ثقات". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث:٩١٨٢): ٤٢٠/٥، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن".

يقول:" سيكون في آخر الزمان شرطة؛ يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم"(١)، وكذلك روى عوف بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال:"...أخاف عليكم ستًا؛ إمارة السفهاء، وبيع الحكم، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، ونشئًا ينشئون يتخذون القرآن مزامير، وسفك الدم"(٢)، وسبب كثرة الشرطة هو في أغلب الأحيان لحماية الحاكم الظالم من ناحية، ومن ناحية أخرى بسبب كثرة المشاكل والجرائم التي تعصف بالمجتمع بسبب عدم الحكم بما أنزل الله تعالى، وعدم العدالة في التوزيع والتوظيف، ولكثرة البطالة عن العمل، فيتحول المجتمع من مجتمع آمن إلى مجتمع مجرم؛ لأن أكثر الناس تريد أن تنتقم، وقد وقع كل ما أخبر به النبي ﷺ بأوصافهم، فنرى رجال الشرطة الذين يحملون السياط ويضربون الناس بها، وفي الأحاديث وعيد شديد لهذا الصنف من الناس الذين يعذبون المسلمين بغير حق، ويعد ذلك من أشراط الساعة التي وقعت وهي مستمرة، وإن ذلك رافق وجود الحكام الظلمة الذين همّهم المحافظة على سلطتهم، فهم يقهرون الناس لذلك بواسطة الأعوان الذين لا يقيمون حرمة لمسلم، وقد وقع ذلك في بعض سجون بلاد المسلمين، والأحاديث دليل على ما وقع ويقع من فساد الحكام وتسلطهم على رقاب الناس؛ لأن أعوان الظلمة وهم أصحاب السياط كناية عنهم، وقد ازداد الأمر سوءًا، فالسياط أصبحت أجهزة تعذيب متنوعة متطورة في داخل السجون والمعتقلات، والله المستعان، هذا وإن قيل: ما

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ٧٦٣٢): ١٣٦/٨، قال الهيثمي:" رواه أحمد، والطبراني في الأوسط والكبير.. ورجال أحمد ثقات"، وقال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته: له: ٦٨٤/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٣٩٧٠): ٣٩١/٣٩، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره".

ذنب رجال الشرطة حتى يدخلوا النار وهو يحفظون الأمن والنظام في البلد؟ فالجواب: إن ذنبهم الذي أوجب لهم النار وحرمهم من الجنة ليس هو حفظهم الأمن والنظام، وإنما هو ترك بعضهم لأوامر الإسلام وفعلهم لنواهيه، من ظلم الناس، وفعلهم المنكرات، وأخذ الرشوة، وغيرها، إذ بعض الشرط في العالم الإسلامي لا يصلّون، ويرتكبون كبائر الذنوب، ولا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، وهم قادرون على ذلك بما لهم من سلطة وإن كانت محدودة؛ فإنهم يستطيعون بها أن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر في حدود تلك السلطة المحدودة(١).

المبحث السابع عشر: غلبة التجارة ومشاركة المرأة فيها والشح

وهي أشراط ظهرت وهي متطورة متزايدة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: غلبة التجارة ومشاركة المرأة فيها:

فقد كثرت بين الناس، فقد تعاطاها اليوم أكثرهم، وأصبحت مهنتهم، بعد أن كانت خاصة بفئة محدودة في كل الأمم والشعوب، من شأن تلك الفئة القليلة من أهل المدينة أو القرية، التي تقوى على السفر والسهر، والنصب والتعب، وكان

---

(١) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٥٩/١، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٤، ١١٦، ١٢٥، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٧/١، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٥٠٧- ٥٠٨، ٥٣٤، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٩٤/١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ٦٥- ٦٧، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٨٩- ٢٩٠، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٣٦- ١٣٧، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٧٣- ٧٨، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: أبو بكر جابر الجزائري: ٤٦- ٤٩.

من أسباب انتشارها يسر المواصلات، وسرعة الاتصالات، فالتاجر على مكتبه وهو يبيع ويشتري مع من شاء من التجار في العالم بأسره، وأصبح جلّ اهتمام الناس في جمع المال، فالمرأة إلى جانب زوجها، والولد إلى جانب أبيه، كلهم يلهث وراء المال، وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، فقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن بين يدي الساعة؛ تسليم الخاصة؛ وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة؛ وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"(١)، وأيضًا ما رواه عمرو بن تغلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة؛ أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر العلم، ويبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى استأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد"(٢)، وقوله ﷺ:" حتى استأمر تاجر بني فلان"؛ أي: أستشيره، وقد وقع هذا في زماننا، حيث وجدت الهواتف وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة التي نقلت الكلام بغاية السرعة، فصار التجار يشاور بعضهم بعضًا في البيع من الأماكن القريبة والبعيدة، وكثرة التجارة أصبحت ظاهرة مألوفة، وبنفس الوقت ملفتة للنظر حيث افتتن بها الناس وتنافسوا

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٨٧٠): ٤١٥/٦- ٤١٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده حسن"، واللفظ له، وقال الهيثمي:"ورجال أحمد، والبزار، رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٢): ٣٢٩/٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأحكام، (الحديث: ٧٠٣٤): ١١٠/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، (الحديث: ١٢٦٧): ٤٨٩/٢- ٤٩٠، قال د.محمد التركي في هامشه:" حديث صحيح"،والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٦/٢- ٢٤٧.

(٢) رواه النسائي في سننه في كتاب البيوع، باب التجارة، (الحديث: ٤٤٥٦): ٢٤٤/٧، قال الألباني:" صحيح" ينظر: صحيح سنن النسائي: له: ٢٠٠/٣- ٢٠١.

فيها كوسيلة لجمع المال، بحيث تعلقت قلوب الناس فيها لدرجة أن تصبح علائقهم مبنية على الأسس المادية فقط، وليس المحذور في ذلك التجارة الحلال وربحها؛ بل لأمور قد تصاحبها كما هو الواقع، فالأموال من فتن الدنيا كما هو معروف، وإذا تعلق قلب العبد بها تنافس لأجلها وألهته عما يجب، وقد يدخل على هذا المال في الأكثر الربا، والصفقات المحرمة، وهو الغالب الآن، كما أن التنافس على المصالح يسبب تفريق الأمة، وقد يؤدي ذلك إلى الهلاك؛ لأن المنافسة على الدنيا تجرّ إلى ضعف الدين، وهلاك الأمة، وتفرق كلمتها، كما وقع فيما مضى، وكما هو واقع الآن.

المطلب الثاني: كثرة الشح وغلبته:

وهو من أشراط الساعة التي أخبر بها النبي ﷺ، وهذا ما نلاحظه من تعطيل بعض تجار المسلمين لفريضة زكاة أموالهم، فضلًا عن صدقات التطوع، والبعض الآخر من المسلمين يتهاون في الواجبات ويشح بها؛ كأداء النفقات الواجبة، وما شابهها، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال:" إن من أشراط الساعة أن يظهر الشح(١)، والفحش، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين..."(٢)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلقى الشح،

---

(١) أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٣٤/١٦.

(٢) رواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٧٤٨): ٢٢٨/١، قال الهيثمي:" حديث أبي هريرة ڤ وحده في الصحيح بعضه، ورجاله رجال الصحيح؛ غير محمد بن الحارث بن سفيان، وهو ثقة". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٤٩): ٦٣٢/٧، وهذا الحديث من الموقوف الذي له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيب الذي لا يدرك بالعقل.

ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل"(١)، والمراد:" يُلقى الشح"؛ أي إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم؛ حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى؛ ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره؛ ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير؛ وليس المراد وجود أصل الشح؛ لأنه لم يزل موجودًا، ويحتمل أن يكون بفتح اللام وتشديد القاف أي يتلَقَّى ويتعلم ويتواصى به(٢)، (٣).

المبحث الثامن عشر: غربة الإسلام ونقض عراه

وهي أشراط ظهرت وهي متطورة ومتزايدة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: غربة الإسلام:

أخبر رسول الله ﷺ أن الإسلام سيعون غريبًا كما بدأ، وقد آل الأمر إلى ذلك، وهو مستمر، وقد جاءت أحاديث كثيرة تتحدث عن غربة الإسلام يكمل بعضها بعضًا، ويوضح بعضها البعض الآخر، ويعضدها وبطرق كثيرة؛ وهي تفسر الغرباء، وتذكر مكانهم، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، (الحديث: ١٥٧): ٢٠٥٧/٤.

(٢) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني: ١٧/١٣.

(٣) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٤، ١١٦، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٩/١- ٣٥٠، ٣٥٦- ٣٥٧، ٣٦٠- ٣٦١، ٣٦٣- ٣٦٤، ٣٦٦، ٤٢٨- ٤٢٩، ٤٤٥- ٤٤٦، اليوم الآخر: القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى: د.عمر الأشقر: ١٩٢/١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٠٨- ١١٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٠- ٢٩١، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٦٩- ١٧١، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٨٥- ١٨٦، ٢٤٢، الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة: أبو بكر جابر الجزائري: ٥٧- ٥٩.

ﷺ قال:" إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ؛ وهو يأرز(١) بين المسجدين (٢) كما تأرز الحية في جحرها"(٣)، وفي رواية عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا؛ فطوبى(٤) للغرباء، قال: قيل: ومن الغرباء؟ قال: النزَّاع من القبائل"(٥)، فقد فسر النبي ﷺ معنى الغربة والغرباء في هذا الحديث بأنهم: **الذين ينزعون عن أهلهم وعشيرتهم، أي بَعُدوا وغابوا، وقيل: لأنه ينزع إلى وطنه؛ أي ينجذب ويميل، والمراد الأول، فطوبى لهؤلاء المهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى**(٦)، وكذلك روى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ قال:" إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل

---

(١) هو من الأرز؛ بضم الراء، وقيل: بفتحها، الاجتماع والانقباض، والمعنى: أنه يرجع إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٧٧/٢.

(٢) أي مسجدي مكة المكرمة والمدينة المنورة. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٧٧/٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنه يأرز بين المسجدين، (الحديث:١٤٦): ١٣١/١.

(٤) أي من الطيب، وقيل: دوام الخير والفرح والنعيم، وقيل: الجنة، وقيل: شجرة في الجنة. ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ١٧٦/٢.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب بدأ الإسلام غربيًا، (الحديث: ٣٩٨٨): ١٣٢٠/٢، واللفظ له، قال الألباني:" صحيح دون قال: قيل...". ينظر: صحيح سنن ابن ماجه: له: ٣٠٦/٣، ورواه الدارمي في سننه في كتاب الرقاق، باب إن الإسلام بدأ غريبًا، (الحديث: ٢٧٥٥): ٤٠٢/٢، قال حسين سليم أسد في هامشه:" إسناده صحيح"، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٧٨٤): ٣٢٥/٦، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناد أحمد صحيح على شرط مسلم".

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٤٠/٥.

الأُرْوِيَّة من رأس الجبل(١)، إن الدين بدأ غريبًا، ويرجع غريبًا، فطوبى للغرباء؛ الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي"(٢)، وقد فسر النبي ﷺ الغرباء في هذا الحديث بالمصلحين القائمين على سنته، وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده:" طوبى للغرباء، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"(٣)، وقد فسر النبي ﷺ الغرباء في هذا الحديث بالصالحين القليل مع الطالحين الكثيرين، وذلك في مقابل المدن الإسلامية

---

(١) أي يتحصن وينضم ويلتجي الدين كما يفعل ذلك الوعل أو الأنثى من المعز بالجبال العوالي، والمعنى أن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام يعود إلى الحجاز كما بدأ منه. ينظر: تحفة الأحوذي: المباركفوري: ٣١٩/٧- ٣٢٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الإسلام بدأ غريبًا، (الحديث: ٢٦٣٠): ١٨/٥، وقال:" هذا حديث حسن"، وقال الألباني:" ضعيف جدًا". ينظر: ضعيف سنن الترمذي: له: ٢٦٩، وقال المباركفوري:" والحديث قد حسنه الترمذي واعترض عليه؛ لأن في سنده كثير بن عبد الله وقد ضعفوه جدًا، بل رماه بعضهم بالكذب، وأجيب عنه بأن تحسينه توثيق للراوي، وذهاب منه إلى أنه لم يرض الكلام فيه، كيف وهو من علماء هذا الشأن، فيعتمد على تحسينه وتصحيحه، وقد احتج بطريق كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، ابن خزيمه في صحيحه كما ذكره المنذري في الترغيب، وقيل: حسّنه الترمذي لشواهده، فإنه قد يحسّن الحديث الضعيف ويصححه لشواهده". ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، له: ٢٦٨/١، والحديث يرتقي إلى درجة الحسن لغيره؛ لوجود شواهد له من الأحاديث السابقة المذكورة قبل قليل.

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦٦٥٠): ٢٣٠/١١، واللفظ له، قال الهيثمي:" فيه ابن لهيعة وفيه ضعف". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢١٩١): ٥٤٥/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" حسن لغيره"، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٨٩٨٦): ١٤/٩، قال المنذري:" أحد إسنادي الطبراني رواته رواة الصحيح". ينظر: الترغيب والترهيب، له، (الحديث: ٤٨١٨): ٦٤/٤.

الأخرى التي أشربت في قلوبها أنظمة ودساتير أوروبا، أو القوانين التي وضعتها من عند أنفسها، ولا تحب إنفاذ دستور الإسلام وقوانينه، والله المستعان، وقد روى أبو مسعود ﷺ قال:" أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال: ألا إن الإيمان ههنا"(١)، ويضاف إلى ذلك ما رواه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله؛ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله، وهم على ذلك، قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ ﷺ: وهم بالشأم؛ فقال معاوية ﷺ: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا ﷺ يقول: وهم بالشأم"(٢)، فقد بينت الأحاديث السابقة عودة الإسلام أو الإيمان إلى المسجدين بمكة المكرمة والمدينة المنورة، والمدينة، والحجاز، واليمن، والشام، ولا تعارض بين الأحاديث، وهو من باب إطلاق الجزء وهو المسجدين (المسجد الحرام والمسجد النبوي)، أو الجزء وهو المدينة وإرادة الكل وهو الحجاز المعروف لدى الناس، وأضاف اليمن؛ لأن الحجاز في الحقيقة جزء من اليمن، ويمكن إلحاق الشام فهي امتداد للمدينة المنورة(٣).

ويتضح لنا من مجموع أحاديث الغربة أن كون المرء على حالة من الاستقامة العلمية والعملية، يقل موافقوه فيها، ويكثر مخالفوه وشانئوه، وإذا دعى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، (الحديث: ٥١): ٧١/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، (الحديث: ٣٤٤٢): ١٣٣١/٣، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه مختصرًا وبدون قول عمير وما بعده، في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ:"لا تزال طائفة من أمتي.."، (الحديث: ١٠٣٧): ١٥٢٤/٣.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٣٣/٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٢٩٥/١٣.

الناس إلى ما هو عليه قلّ متبعوه، وهذا وجه من وجوه الغربة؛ يتمثل في قلة المعين على الخير، وقلة المستجيب لدعوة الله تعالى، وثمة وجه آخر: وهو المشقة التي يجدها السالك لتجنب العثرة، فإنه كلما بَعُد عهد الناس بالنبوة زاد الشر وأصبح من العسير تحصيل المصلحة إلا ومعها قدر من المفسدة، ومن العسير أيضًا فعل المصلحة الراجحة لكثرة المعوقات والمثبطات التي تقعد بالإنسان عن ذلك(١)، ولغربة الإسلام صورتان: غربة أهل الإسلام في أهل الأديان الأخرى، وغربة أهل السنة الصابرين عليها مما عداها في أهل الإسلام، وقد تكون الثانية أشد، فالإسلام غريبًا بين أهله وأعدائه، فالمسلمون سيكونون جهلة بإسلامهم، والعدو يضيّق الخناق على كل معتنق للإسلام، وخاصة الذين يتخذون الإسلام نظامًا شاملًا عقيدة وشريعة وأخلاقًا، فهؤلاء سيتعرضون لأنواع شتى من البلاء والفتن كالجمر؛ بسبب هذا الفهم الشامل للإسلام، وفي زماننا المعاصر يشعر المسلم بأنه غريب بسبب المعاصي والذنوب والآثام المنتشرة حوله، والتي مخطط لها الانتشار في كل مكان وبوسائل متطورة، ولكن طوبى للذين يصلحون ما أفسده الناس، وهؤلاء الغرباء هم الذين يحاولون دون أن تستحكم الغربة وتعم الجاهلية الأرض كلها قبل قبض أرواح المؤمنين قبيل قيام الساعة، فقد وعد الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ببقاء طائفة مصلحة، وهي الطائفة المنصورة الغريبة؛ وفيها أحاديث كثيرة وروايات متعددة كلها تؤكد على نصر الله تعالى لها، وأنها باقية على الإسلام الحق تطبيقًا، وعلى الإيمان الصحيح اعتقادًا.

وحاصل ما تقدم من الأحاديث أن الحجاز، واليمن، والشام مراكز الإسلام؛

---

(١) الغرباء الأولون: د.سلمان العودة: ٤٧- ٤٨.

وتبقى هذه البلاد مراكز له ما بقيت الدنيا، ولا يزال نور الإيمان يتلألأ منها إلى يوم القيامة، وينشر ضوءه إلى الآفاق وأطراف العالم والممالك والدول الأخرى، وإن ذكرت في الأحاديث منفردة لكنها متحدة في الحقيقة؛ وفي حكم البلد الواحد لتلاصقهم بعضها ببعض، فالحجاز واليمن شيء واحد؛ والتصقت حدود الحجاز بالشام من جهة أخرى فصار الجميع - اليمن والحجاز والشام- قطعة واحدة من البلاد العربية، فلما ثبت وحدتها ثبت أن البشارة والدعاء بالبركة والطائفة المنصورة؛ وأنهم الغرباء في آخر الزمان التي جاءت ذكرهم في الأحاديث لكل واحدة من هذه البلاد الثلاثة منفردة ثابتتان للجميع على سبيل الاشتراك والاجتماع(١).

المطلب الثاني: نقض عرى الإسلام:

على ما ذكرنا من غربة الإسلام؛ نجد أن أكثر أحكام الإسلام أضحت غريبة؛ كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى، وغيرها كثير؛ فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال:" لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، وكلما انتقضت عروة؛ تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة"(٢)، وفي رواية عن فيروز الديلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لينقضن الإسلام عروة عروة؛ كما ينقض الحبل قوة قوة"(٣)، وقد وقع

---

(١) ينظر للتوسع: أكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان: الشيخ محمد أشرف سندهو، تحقيق: أبو عمر الدوسري: ٤١- ٤٢، ٦٨- ٧٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢١٦٠): ٤٨٥/٣٦، قال الهيثمي:" رجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٢١١): ٥٥١/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده جيد".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٨٠٣٩): ٥٧٣/٢٩، قال الأرناؤوط في هامشه:" حسن

مصداق هذا الحديث في زماننا، وذلك عندما ألغيت الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية عام (١٣٤٣هـ، ١٩٢٣م)، وتم تأسيس أنظمة علمانية لا تمت إلى الإسلام بأدنى صلة، ونبذ الحكم بالشريعة الإسلامية، واستبدالها بالقوانين الوضعية المخالفة لحكم القرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يبق من الحكم بما أنزل الله تعالى إلا قانون الأحوال الشخصية المتصل بالزواج والطلاق، وأحكام النسب، والميراث، والوصية، وهناك روايات أخرى تؤكد نقض عرى الإسلام؛ فقد روى جبير فقال: فلقيت عبادة بن الصامت ﷺ، قلت: ألا تسمع إلى مايقول أخوك أبو الدرداء ﷺ؟ فأخبرته بالذي قاله أبو الدرداء ﷺ، قال: صدق أبو الدرداء ﷺ، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس؟ الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا"(١)، وروى عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة، وربّ مصلٍ لا خير فيه"(٢)، وفي رواية عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:"إن أول

لغيره"، واللفظ له، ورواه الدارمي في سننه في المقدمة، باب اتباع السنة، (الحديث: ٩٧): ٥٨/١، قال حسين سليم أسد في هامشه:" إسناده صحيح".

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم، باب ذهاب العلم، (الحديث: ٢٦٥٣): ٣١/٥، وقال:" حديث حسن غريب"، قال الألباني:"صحيح". ينظر: صحيح سنن الترمذي: له: ٥٩/٣، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب العلم، (الحديث: ٣٣٨)، ١٧٩/١، وقال:" هذا إسناد صحيح الإسناد"، وقال الذهبي في تلخيصه:" إسناده صحيح".

(٢) رواه الطبراني في معجمه الصغير، (الحديث: ٣٨٧): ٢٣٨/١، قال الهيثمي:" فيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين، وضعفه أبو زرعة، وبقية رجاله ثقات". ينظر: مجمع الزوائد: له، (الحديث: ١٢٤٢٧): ٦٢٢/٧، ويرتقي هذا الحديث إلى درجة الحسن لغيره؛ لأنه يشهد له حديث ابن مسعود ﷺ الصحيح ويقويه.

ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة..."(١)، ولا تعارض بين الأحاديث؛ لأن من فقد الخشوع والخوف من الله تعالى قد يفقد الأمانة التي هي ضد الخيانة، وكذلك يُعرض عن الحكم بما أنزل الله تعالى، والنبي ﷺ يشبه الإسلام بالحلقات المترابطة المتسلسلة، فكلما نقضت حلقة رجع المسلمون إلى التي تليها، فبعد إقصاء الحكم بما أنزل الله تعالى حوربت الأنظمة الاقتصادية، ثم التعليمية، ثم الاجتماعية المتصلة بالإسلام، ثم آخر ما يبقى من الإسلام الصلاة، وحتى هذه العبادة العظيمة يحاربها بعض الناس في بعض البلاد الإسلامية(٢)، (٣).

المبحث التاسع عشر: تداعي الأمم على الأمة الإسلامية

إن من أشراط الساعة التي أخبرنا النبي ﷺ بها، والتي وقعت وهي مستمرة، تكالب أمم الكفر من الشرق والغرب على الأمة الإسلامية وبلادها، للقضاء على

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٥٣٨): ٥٤٩/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في تلخيصه:" صحيح"، ورواه الطبراني في معجمه الكبير، (الحديث: ٨٧١٩): ١٤١/٩، قال الهيثمي:" رجال الطبراني رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٥): ٦٣٦/٧، وهذا من الموقوف الذي له حكم المرفوع؛ لأنه من الغيب الذي لا يدرك بالعقل.

(٢) هامش السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: الداني، د.رضاء الله المباركفوري: ٦٠٧/٣.

(٣) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٢٧/١- ٢٨، ٣٢- ٣٣، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٢٦٨/١- ٢٧٥، ٣٩٠- ٣٩٣، ٣٩٦- ٤٠٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٢- ٢٩٣، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٠٦- ١٠٨، ١١٨- ١٢٣، مسائل في الفتن، فيصل آل صبحان: ٢٣.

أي شكل من أشكال القوة عند المسلمين، وللقضاء على كل أثر للصحوة الإسلامية؛ لأنها العائق الوحيد الذي يقف في طريق أطماع الأمم في الاستعمار، واستنزاف خيرات الأمة الإسلامية، وهو نتيجة للعلامة التي قبلها من حصول غربة الإسلام وأهله وتفرقهم؛ فقد روى ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يوشك أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل(١)، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم؛ وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يارسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"(٢)، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان ﷺ:" كيف أنت يا ثوبان، إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه؟، قال ثوبان ﷺ: بأبي وأمي يا رسول الله، أمن قلة بنا؟ قال: لا؛ أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا، وكراهيتكم القتال"(٣)، والحديث ذو دلالات كثيرة؛ فلو كانت الأمة الإسلامية متمسكة بدينها، قوية متماسكة؛ ما فكر أعداؤها بالتداعي عليها، فأسباب الضعف

---

(١) أي مايجيء فوقه مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير: ٣٤٣/٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على أهل الإسلام، (الحديث: ٤٢٩٧): ٥١٤/٢ واللفظ له، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن أبي داود: له: ٢٥/٣، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢٣٩٧): ٨٢/٣٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده حسن".

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٨٧١٣): ٣٣١/١٤، قال الهيثمي:" وإسناد أحمد جيد". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٢٤٥): ٥٦٣/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف".

في داخل الأمة؛ فهي متمزقة ومتفرقة ومشتتة، كغثاء السيل لا فائدة منه، وقد حصل ذلك مرات كثيرة في التاريخ، وازدادت شراسة الأعداء وتكالبهم في الوقت الحاضر؛ ونزعت مهابة المسلمين من صدور أعدائهم، وأصبحوا في قمة المهانة، وشتى أصناف الإذلال، وأدلّ شيء على ذلك مما نراه في أيامنا من تباحث دول الأعداء في أمورنا الخاصة والداخلية، ومنع المسلمين من حوزة أي قوة مهما كانت سواء كانت عسكرية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم اجتماعية، أم ثقافية، وغيرها، ومع ذلك كله فالله عز وجل حافظ على هذه الأمة كرامة لنبيه ورسوله سيدنا محمد ﷺ الذي سأل الله تعالى الخير لأمته فاستجاب لبعض دعواه؛ كما روى ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي: أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم؛ ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا"(١)، فالذي يدل عليه الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من تداعي أعدائها عليها، فإذا أصبح بأسها بينها ووقعت الفرقة فيما بينها؛ سلط الله تعالى عليها أعدائها وطمعوا بها، والتاريخ شاهد على ذلك؛ فقد تداعت الأمم مرات عديدة إلى غزو هذه الأمة، فقد كانت هجمة التتار المغول، والفرنجة الصليبيين،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (الحديث: ٢٨٨٩): ٤/٢٢١٥.

والقضاء على المسلمين في الأندلس، والدول الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، وتحققت نبوءة الرسول ﷺ في هذا الزمن الحاضر بصورة أوضح حين اتفقت ملة الكفر جميعًا من نصارى ويهود وملاحدة على هدم الخلافة العثمانية الإسلامية، ثم تجزئة البلاد الإسلامية إلى دويلات، وتقاسمها ديار المسلمين فيما بينهم، وإعطاء فلسطين لليهود الصهاينة، ولبنان للنصرانية الشرقية، والقضاء على الدولة الإسلامية في الهند، ولا تزال هذه القوى تتداعى بأشكالها المتعددة؛ فأخذت خيراتها، ونهبت ثرواتها، واستغلت أراضيها لقواعد عسكرية لضرب بعضها بعضًا، وللسائل عن أسباب هذا التداعي يبيّن لنا معلّم البشرية ﷺ بأن ذلك ليس بسبب قلة العدد، فالأمة الإسلامية كثيرون، فهم مليارا مسلم، ولكنهم على كثرتهم غثاء لا فائدة منه، وزبدًا ليس به ماء، بل وأكثر من ذلك فقد نزع الله تعالى من قلوب أعدائنا الخوف منا؛ لأننا لم نخف الله عز وجل فخفنا من كل شيء، نسينا الله تعالى فأنسانا أنفسنا، وعصيناه فسلّط علينا من لا يعرفه ولا يخافه، فالعبرة ليست بالكم، ولكنها بالكيف، والسبب الأساسي؛ هو ضعف الروح عند المسلمين، وسقوط الهمّة، وقلة النخوة، والانهزام الداخلي عن الكرامة التي وهبها الله تعالى لبني الإنسان، فتكونت عندها قابلية الاستذلال والخضوع، وللسائل عن أسباب هذه الهزيمة الداخلية، هو حب الدنيا وكراهية الموت، وها نحن أولاء نشاهد بعض الناس في الأمة قد ركنوا إلى الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها وشهواتها وملذاتها، حتى أصبحت أكبر همّهم، فشغلت قلوبهم وفكرهم وأبدانهم في الحصول عليها غير مبالين بطريقة جمع المال، أمن حلال أم من حرام؟ ولا بكيفية إنفاقه، وكأن الناس قد خلقوا للخلود في الدنيا، وتناسوا ذكر الحياة الآخرة الأبدية، دار الخلود والنعيم المقيم، وتناسوا الموت وخافوه حتى لا

يفوت عليهم فرصة الاستقرار والاستمتاع بالحياة الدنيا، ونحن لا ننكر أن حب الدنيا وكراهية الموت أمر فطري في النفس الإنسانية، ولكن العقيدة الإسلامية تهذب كل هذا، وتصوغ صاحبها صياغة أخرى تحمله على البذل والعطاء، والإقدام للجهاد في سبيل الله تعالى غير مبال برزق، ولا خائف من الموت، فإن الأرزاق والآجال بيد الله عز وجل، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها ورزقها، والمنية تدرك الإنسان في فراشه، وساحة الجهاد لا تنقص في عمر الإنسان، وليست مكانًا لقبض الأرواح، ولكنه البعد عن العقيدة وضعف الإيمان هو الذي يولّد حب الدنيا وكراهية الموت، التي تجعل الأعداء يطمعون في البلاد والعباد، وثمة سبب آخر في هذا التداعي من الأمم علينا وأطماعها فينا؛ ألا وهو حالة التفرق والتمزق والتشرذم التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم، وعيون أعداء الله تعالى ترصد ذلك بعين فرحة وقلوب سعيدة وهي تشاهد أمة الإسلام تدمر نفسها بنفسها، وأصبح بأسها بينها شديدًا، عندما تخلت عن الاعتصام بكتاب ربّها، وسنة نبيها ﷺ، وأصبحت بذلك لقمة سائغة لكل طامع، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

المبحث العشرون: انتشار الكتابة والطباعة وكثرة الجهل بالعلم الشرعي وقلة العلم به

(١) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٦١/١- ٦٢، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣١٤/١- ٣١٥، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٧٢- ١٧٥، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٤- ٢٩٥، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٠٣- ١٠٦.

وهي أشراط ظهرت وهي متطورة ومتزايدة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: انتشار الكتابة والطباعة:

جاءت أحاديث في أشراط الساعة يفهم منها انتشار العلم والكتابة، منها: ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" إن بين يدي الساعة؛ تسليم الخاصة؛ وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة؛ وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم"(١)، والمراد بظهور القلم ظهور الكتابة وانتشارها، والقلم أداة للكتابة وهي المقصود، والله تعالى أعلم، أو كناية عن كثرة الكتبة، وقلة العلماء، أي يكتفون بتعليم الخط ليخالطوا الحكام، وفي رواية عن عمرو بن تغلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة؛ أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر العلم، ويبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بني فلان، ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد"(٢)، وقد فسر العلماء ظهور العلم بالكتابة والكتبة، ولا تعارض بين رواية العلم والقلم إذ المراد من القلم الكتابة وهو وسيلة من وسائل العلم(٣)، والواقع

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٣٨٧٠): ٤١٥/٦- ٤١٧، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده حسن"، واللفظ له، وقال الهيثمي:"ورجال أحمد، والبزار، رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٦٢): ٣٢٩/٧، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأحكام، (الحديث: ٧٠٣٤): ١١٠/٤، وقال:" هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه، ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده، (الحديث: ١٢٦٧): ٤٨٩/٢- ٤٩٠، قال د.محمد التركي في هامشه:" حديث صحيح"، والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٦/٢- ٢٤٧.

(٢) رواه النسائي في سننه في كتاب البيوع، باب التجارة، (الحديث: ٤٤٥٦): ٢٤٤/٧، قال الألباني:" صحيح" ينظر: صحيح سنن النسائي: له: ٢٠٠/٣- ٢٠١.

(٣) هامش السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها: الداني، د.رضاء الله المباركفوري:

يشهد بذلك حيث ظهرت هذه العلامة في جميع العالم وتطورت وسائلها بسبب توافر آلات المطابع، والتصوير، والوسائل الإلكترونية الحديثة من أجهزة الحاسوب، والأقراص الليزرية المدمجة، وغيرها التي سهلت انتشار الكتب العلمية، وأما قوله ﷺ:" ويلتمس في الحي العظيم الكاتب؛ فلا يوجد"؛ فقد وقع مصداقه فيما قبل زماننا؛ فإن الكتبة كانوا قليلًا في المدن والقرى، وهم في البادية أقل، وكثير من أحياء البادية لا يوجد فيهم الكاتب، ومع ذلك ظهر الجهل بين الناس بالعلوم الشرعية والعمل بها، وقل فيهم العلم النافع، وهو علم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولم تغن عنهم كثرة الكتب شيئًا، وقد وقع ذلك، وهو مستمر.

المطلب الثاني: كثرة الجهل بالعلم الشرعي وقلة العلم به:

كما روى أنس ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" من أشراط الساعة؛ أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنى، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد"(١)، وفي رواية ثانية عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة؛ أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنى"(٢)، وروى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول

٣/٥٦٦-٥٦٧.

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (الحديث: ٨١): ١/٤٣، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧١): ٤/٢٠٥٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (الحديث:٨٠): ١/٤٣، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧١): ٤/٢٠٥٦.

الله، أيما هو؟ قال: القتل، القتل"(١)، وقد ظهر مصداق هذه الأحاديث في زماننا؛ من الزهد بالعلم الشرعي، وظهور الجهل به، بحيث هجر بعض المسلمين العلم الموروث عن النبي ﷺ وأصحابه، وتابعيهم، وأئمة العلم والهدى من بعدهم، ويقلّ الراغبون فيه والمعتنون به، وقد انصرفت همم الأكثرين إلى العلوم التي توفر الدخل الأعلى، وجذبتهم مطالعة الصحف والمجلات، وما شاكل ذلك، وإن الجهل من شر البلايا التي تحل بالأمم، إذ هو مصدر كل الآفات والمصائب التي حلّت وتحل بالأمة الإسلامية، وإذا أرادت أمة الإسلام تحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة، فما عليها إلا أن تأخذ من ميراث نبيها ﷺ؛ المتمثل بعلم القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السنن، وتظهر البدع والخرافات، ويعمّ الجهل، والعلم المقصود محصور في أمرين اثنين: علم بالله تعالى، وعلم بأوامر الله تعالى، أما العلم بالله تعالى؛ فهو العلم بأسماء الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، والتعبد بها، والعمل بها، وهذا يورث في القلب الخشية والانكسار لله ربّ العالمين، ويورث الجوارح الانقياد والامتثال والطاعة لله عز وجل، وأما العلم بأوامر الله تعالى؛ فهو العلم بالحلال والحرام ومختلف الأحكام وطريقة استنباطها، ونحو ذلك، حيث يجب على كل مسلم أن يتعلم فقه الإيمان (التوحيد)، وفقه الأحكام (التشريع)، ففي فقه الإيمان يتعلم المسلم كيف يصحح عقيدته وإيمانه الذي سيلقي به ربّه عز وجل؟ وفي فقه الأحكام يتعلم كيف يتابع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (الحديث: ٦٦٥٢): ٢٥٩٠/٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ١٥٧): ٢٠٥٦/٤.

رسول الله ﷺ في عباداته؟ وأما علوم الدنيا فهي من فروض الكفاية في أكثر الأحيان، وهي في زيادة، وليس ذلك هو المراد من الأحاديث، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجّهون الأمة، ويدلّونها على طريق الحق والهدى، فإن العلم بدون عمل لا فائدة منه، بل يكون وبالًا على صاحبه، قال الحافظ الذهبي بعد ذكره لطائفة من العلماء:" وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم؛ فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل"(١)، وإذا كان هذا في عصر الحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ)؛ فما بالك بزماننا هذا؟ فإنه كلما بَعُد الزمان من عهد النبوة، قلّ العلم، وكثر الجهل(٢).

المبحث الحادي والعشرون: تقارب الزمان والأسواق

وهي أشراط ظهرت وهي متطورة ومتزايدة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: تقارب الزمان:

من أشراط الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أن يتقارب الزمان، فتصبح السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كاحتراق السعفة؛ فقد روى أبو هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ:"

---

(١) تذكرة الحفاظ: الذهبي: ١٥٧/٣.

(٢) ينظر للتوسع: الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٤، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٥٠/١، ٣٦٣، ٤١٤- ٤١٦، ٤٢١- ٤٢٣، ٤٢٧- ٤٢٩، صحيح أشراط الساعة: الشلبي: ١١٨- ١٢١، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٥- ٢٩٦، أشراط الساعة: الوابل: ١٣٣- ١٣٤، ١٩٠- ١٩١، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد القضاة: ١٩٢- ١٩٣، ٢٠٧- ٢٠٩.

يتقارب الزمان، ويقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلقى الشح، ويكثر الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل"(١)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة(٢)"(٣).

وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، وتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة(٤)

بالنار"(٥)، وقد ذكر العلماء ثمانية آراء في المراد بتقارب الزمان:

١- قرب يوم القيامة(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (الحديث: ٦٦٥٢): ٢٥٩٠/٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ١٥٧): ٢٠٥٦/٤.

(٢) هي أغصان النخيل؛ وقيل: إذا يبست سميت سعفة، وإذا كانت رطبة فهي شطبة. ينظر: النهاية: ابن الأثير: ٣٦٨/٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٠٩٤٣): ٥٥٠/١٦، قال الأرناؤوط في هامشه:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٤) هي النار، وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك؛ لأن الكبير والصغير ينفخان النار. ينظر: النهاية: ابن الأثير: ٨٦/٣.

(٥) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تقارب الزمان، (الحديث: ٢٣٣٢): ٥٦٧/٤، وقال:" هذا حديث غريب"، قال الألباني:" صحيح". ينظر: صحيح سنن الترمذي: له: ٥٣٧/٢.

(٦) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: ٦٦٤، المنهاج شرح صحيح مسلم بن

٢- تقارب أحوال الناس في الشر والفساد والجهل، وقلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله، وأنكره بعض العلماء وذلك عند ترك طلب العلم خاصة، والرضى بالجهل؛ وذلك لأن الناس لا يتساوون في العلم، فدرجات العلم تتفاوت، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالًا، ويحتاج الحديث إلى تقدير؛ أي يتقارب أهل الزمان(١).

٣- المراد بتقارب الزمان هو قصر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة، فالطبقة الأخيرة أقصر إعمارًا من الطبقة التي تليها(٢).

٤- أن المقصود بتقارب الزمان تسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم(٣).

٥- ما يكون زمن المهدي من استلذاذ العيش، ووقوع الأمن في الأرض وغلبة العدل، فيستلذ العيش وتستقصر مدته، وما زال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت، ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت، وهو قول الخطابي، وهذا التفسير لا يناسب سياق الحديث من ذكر الفتن والهرج وغيره(٤).

٦- أن المراد بذلك هو قصر الزمان، وسرعته سرعة حقيقية، وذلك في آخر الزمان، وهذا لم يقع إلى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء أن أيام الدجال تطول حتى يكون اليوم كالسنة، وكالشهر، وكالجمعة في الطول، فكما أن الأيام تطول؛ فإنها

الحجاج: النووي: ٢٢١/١٦.

(١) شرح صحيح البخاري: ابن بطال: ١٣/١٠.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٣٢٧/٣.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٥٢٢/٢، ١٧/١٣.

(٤) شرح صحيح البخاري: ابن بطال: ١٣/١٠.

تقصر، وذلك لاختلال نظام العالم، وقرب زوال الدنيا(١)، وقد قال ابن أبي جمرة:" فالقصر يحتمل أن يكون حسيًا، ويحتمل أن يكون معنويًا، أما الحسي: فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة، وأما المعنوي: فله مدة منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويشكون ذلك ولا يدرون العلة فيه، ولعل ذلك بسبب ما وقع من قلة ضعف الإيمان لظهور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتى أن كثيرًا من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء هجم عليه ولا يبالي، والواقع أن البركة في الزمان والرزق وفي النبت إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر، واجتناب النهي"(٢).

٧- أن ذلك كناية عن نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، حتى يصير الانتفاع به وثمرة العمل فيه أقل مما يحصل في الأيام العادية التي لم تنزع بركتها، فإن اليوم يصير الانتفاع فيه بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة، وإذا قارنا بين حالنا وحال سلفنا لوجدنا الفرق الكبير؛ فالإمام ابن جرير الطبري والإمام النووي، وغيرهم من ألّف بمعدل خمسين صفحة كل يوم من تاريخ ولادته إلى وفاته، وهذه هي البركة بعينها في حياتهم، وهو قول الحافظ ابن كثير، وذكره ابن حجر عن القاضي عياض والنووي واختاره؛ لأنه أظهر وأكثر فائدة، وأوفق لبقية الأحاديث وقال:" والذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإننا نجد من

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ابن الجوزي: ٣٢٧/٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧/١٣.

سرعة مر الأيام ما لم نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا...والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء من الزمان من علامات قرب الساعة"(١)، وكان الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) يشكو من قلة البركة في الوقت الذي عاش فيه، أما في زماننا فمن باب أولى، والله المستعان.

٨- وقد ذهب بعض العلماء المتأخرين من أن ذلك إشارة إلى ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية والجوية والآلات الكهربائية التي قربت كل بعيد، والمعنى على هذا: يتقارب أهل الزمان؛ وهذه الأحاديث تنطبق على سير المراكب الأرضية في هذه الأزمان؛ فإنها تقطع مسافة السنة في شهر فأقل، ومسافة الشهر في جمعة فأقل، ومسافة الجمعة في يوم فأقل، ومسافة اليوم في ساعة فأقل، ومسافة الساعة في مثل احتراق السعفة، وبعضها أسرع من ذلك بكثير، وأعظم من ذلك المراكب الجوية؛ فإنها هي التي قربت البعيد غاية التقريب؛ بحيث صارت مسافة السنة تقطع في يوم وليلة أو أقل من ذلك، وأعظم من ذلك الآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات، والهواتف الهوائية؛ فإنها قد بهرت العقول في تقريب الأبعاد؛ بحيث كان الذي في أقصى المشرق يخاطب من في أقصى المغرب كما يخاطب الرجل جليسه، وبحيث كان الجالس عند الإذاعة يسمع كلام من في أقصى المشرق ومن في أقصى المغرب ومن في أقصى الجنوب ومن في أقصى الشمال، وغير ذلك من أرجاء الأرض في دقيقة واحدة؛ كأن الجميع حاضرون عنده في مجلسه، فالمراكب الأرضية والجوية قربت الأبعاد من ناحية السير، والآلات الكهربائية قربت الأبعاد من ناحية التخاطب وسماع الأصوات، والحقيقة أن الحديث يحتمل القولين الأخيرين، فقلة

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/١٦- ١٧.

البركة في الوقت هو أمر ملاحظ وهو يناسب أشراط الساعة، وسرعة قضاء الحوائج بالأجهزة الحديثة، والوصول إلى أبعد الأماكن بأقل زمن هو الواقع، والله أعلم(١).

المطلب الثاني: تقارب الأسواق:

الذي هو أحد أشراط الساعة الصغرى؛ فقد روى أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، ويتقارب الأسواق، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج؟ قال: القتل"(٢)، وقد يفسر تقارب الأسواق بكسادها؛ بسبب كثرة التجار؛ وفشو التجارة، وازدحام الأسواق، أو للفقر الذي يجعل الناس يحجمون عن الشراء؛ كما روى عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"...إن بين يدي الساعة؛ تسليم الخاصة، وفشو التجارة؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض فيرجع؛ فيقول: لم أربح شيئًا"(٣)، والظاهر أن ذلك إشارة إلى ما وقع في زماننا المتطور من تقارب أهل الأرض بسبب المراكب الجوية، والأرضية، والآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات والهواتف، والتي تنقل

---

(١) القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين: استقصاء وشرحًا وبيانًا لوقوعها: أمين محمد جمال الدين: ٩٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٠٧٢٤): ٤٢٢/١٦، قال الهيثمي:" رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح؛ غير سعيد بن سمعان؛ وهو ثقة". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٥٠): ٦٣٢/٧، قال الأرناؤوط في هامش المسند:" إسناده صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين".

(٣) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الفتن والملاحم، (الحديث: ٨٣٧٨): ٤٩٣/٤، وسكت عنه الذهبي في التلخيص، والحديث صحيح. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٢٤٧/٢-٢٤٨.

الكتابة؛ كالناسوخ (الفاكس)، و(التلكس)، والجوال، وشبكة المعلومات العنكبوتية الدولية (الإنترنت)، وغيرها من الآلات الحديثة التي صارت أسواق الأرض متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير في الأسعار في قطر من الأقطار؛ إلا ويعلم به التجار أو غالبهم في جميع أرجاء الأرض، فيزيدون في السعر إن زاد، وينقصون إن نقص، ويذهب التاجر في السيارات إلى أسواق المدائن التي تبعد عنه مسيرة أيام، فيقضي حاجته منها، ثم يرجع في يوم أو بعض يوم، ويذهب في الطائرات إلى أسواق المدن التي تبعد عنه مسيرة شهر فأكثر، فيقضي حاجته منها، ويرجع في يوم أو بعض يوم؛ فقد تقاربت الأسواق من حيث سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه، وسرعة التنقل من سوق إلى سوق، ولو كانت بعيدة عنها، ومقاربة بعضها بعضًا في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان(١).

المبحث الثاني والعشرون: كثرة القتل وموت الفجأة وتمني الموت

وهي أشراط ظهرت وهي متطورة ومتزايدة، وهي كما يلي:

المطلب الأول: كثرة القتل:

---

(١) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٥٧/١، ١٩٦، ١٩٨، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٩، ١٢٣- ١٢٤، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٤/١، ٣٥٦، ٣٥٨- ٣٦١، ٣٦٥، ٤٩٦- ٤٩٩، صحيح أشراط الساعة: مصطفى الشلبي: ١٢٣- ١٢٦، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٦- ٢٩٨، أشراط الساعة: الوابل: ١٥٥- ١٦٠، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد القضاة: ٢٢١- ٢٢٣، ٢٤٠- ٢٤١، الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة: مصطفى العدوي: ٤١٤- ٤١٥، نهاية العالم: أشراط الساعة الصغرى والكبرى: د.محمد العريفي: ١٠٦- ١٠٧، ١١١- ١١٢.

ذكر النبي ﷺ أن كثرة القتل من أشراط الساعة، في أحاديث كثيرة نذكرها منها ما رواه أبو وائل ﷺ قال: كنت جالسًا مع عبد الله وأبي موسى رضي الله عنهما فقالا: قال رسول الله ﷺ:"إن بين يدي الساعة أيامًا؛ يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج؛ والهرج القتل"(١)، وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يتقارب الزمان، وينقص العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: القتل، القتل"(٢)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم؛ لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج؛ القاتل والمقتول في النار"(٣)، فالقتل هنا لمجرد القتل دون أن يكون هناك أي مبرر لذلك، وقد يكون القتل ظلمًا وعدوانًا، وقد وقع القتل بين المسلمين من عهد مبكر فقد بدأ باستشهاد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، واستمر ذلك، إلا أنه يكثر في أماكن ويقل في أخرى، ثم تكررت الحروب وحدث القتل وازداد في القرون الأخيرة بسبب الحروب العالمية والإقليمية والمحلية التي قتل فيها ملايين البشر، حتى آل الأمر إلى ما نحن فيه مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ حيث لا يعرف القاتل لماذا قتل؟ ولا المقتول لماذا

---

(١) رواه مسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧٢): ٢٠٥٦/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، (الحديث: ٦٦٥٢): ٢٥٩٠/٦، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ١٥٧): ٢٠٥٦/٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (الحديث: ٢٩٠٨): ٢٢٣١/٤.

قتل؟ ولا يعرف الباعث والسبب لهذا القتل، ولا يخلو يوم إلا ونسمع فيه عن مقتل عشرات بل مئات وآلاف الناس، وأسباب كثرة القتل المؤدي لإهلاك الحرث والنسل تظهر بما يلي:

١- كثرة الفتن التي قد تؤدي للقتل.

٢- الجهل بالدين، وعدم العلم به؛ يكون سببًا للعداوة والخصومة والمطامع وبالتالي قد تؤدي للقتل.

٣- الأسلحة المدمرة والفتاكة الحديثة المتطورة.

٤- طيش العقول وخفتها وضلالها، وإهدار قيمة الإنسان، فإننا نسمع أن بعض الناس يقتل غيره لأسباب تافهة، وخاصة عند اضطراب الناس، ويصدق على ذلك في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، قالوا: أكثر مما نقتل، إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفًا، قال: إنه ليس بقتلكم المشركين؛ ولكن قتل بعضكم بعضًا، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ، قال: إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس؛ يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء، قال عفان في حديثه: قال أبو موسى ﷺ: والذي نفسي بيده؛ ما أجد لي ولكم منها مخرجًا إن أدركتني وإياكم، إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها لم نصب منها دمًا ولا مالًا"(١).

المطلب الثاني: موت الفجاءة:

---

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث:١٩٤٩٢): ٢٤١/٣٢، قال الأرناؤوط في هامشه: " مرفوعه صحيح؛ وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين أو أحدهما"، وهذه الرواية من الضعيف المنجبر لوجود طريق أخرى صحيحة ذكرناها قبل قليل.

كما روى أنس بن مالك ﷺ رفعه إلى النبي ﷺ قال:" من اقتراب الساعة؛ أن يرى الهلال قبلًا، فيقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يظهر موت الفجاءة"(١)، وكذلك روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:" أن رسول الله ﷺ استعاذ من سبع موتات؛ موت الفجأة؛ ومن لدغ الحية، ومن السبع؛ ومن الحرق، ومن الغرق؛ ومن أن يخر على شيء أو يخر عليه شيء؛ ومن القتل عند فرار الزحف"(٢)، وذكر عن مجاهد أنه قال:" من أشراط الساعة موت البدار(٣)"(٤)، وقد وقعت هذه العلامة منذ مدة، وكثرت جدًا في هذه السنين؛ فترى الرجل صحيحًا معافى، ثم يموت فجأة، وهو بما يعرف بالسكتة القلبية (الجلطة)، أو فيما يعرف عند علماء الطب باحتشاء عضلة القلب، وإما بحوادث وسائل النقل الحديثة البرية والبحرية والجوية، ولعل من أسباب موت الفجاءة الضغط النفسي، والضيق المادي، والانحراف الخلقي، والكبت والإرهاب الذي يسلط على الناس.

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الصغير، (الحديث: ١١٣٢): ٢٦١/٢، ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، (الحديث: ٩٣٧٦): ١٤٧/٩، قال الهيثمي:" رواه الطبراني في الصغير، والأوسط عن شيخه الهيثم بن خالد المصيصي وهو ضعيف". ينظر: مجمع الزوائد، له، (الحديث: ١٢٤٤١): ٦٢٩/٧، وقال السخاوي:" وبعضها يتقوى ببعض". ينظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: له: ٦٧٧، والحديث حسن. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني: ٣٦٧/٥- ٣٦٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٦٥٩٤): ١٦٨/١١، قال الأرناؤوط في هامشه:" صحيح لغيره, رجاله ثقات رجال الشيخين".

(٣) بادر الشيء مبادرة وبدارًا وابتدره وبدر غيره إليه: عاجَله. ينظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة بدر.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب الجنائز، في موت الفجأة وما ذكر فيه، (الحديث: ١٢٠٠٨): ٤٨/٣.

المطلب الثالث: تمني الموت:

فقد أخبر المصطفى ﷺ بأن الساعة لن تقوم، حتى يتمنى الرجل أن يكون مكان الميت، وذلك من شدة ما يلاقيه من البلاء والمحن، فقد روى أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه"(١)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر، فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء"(٢)، ومعنى ذلك أن الحامل للرجل على تمني الموت ليس التدين والتقرب إلى الله تعالى، وحبًا في لقائه، وإنما بسبب البلاء وكثرة المحن وسائر الضراء، وقد قال الحافظ العراقي:"ولا يلزم كونه في كل بلد، ولا كل زمن، ولا في جميع الناس، بل يصدق اتفاقه للبعض في بعض الأقطار، وفي بعض الأزمان، وفي تعليق تمنيه بالمرور إشعار بشدة ما نزل بالناس من فساد الحال حالتئذ، إذ المرء قد يتمنى الموت من غير استحضار لهيئته، فإذا شاهد الموتى، ورأى القبور؛ نشز بطبعه، ونفر بسجيته من تمنيه، فلقوة الشدة لم يصرفه عنه ما شاهده من وحشة القبور، ولا يناقض هذا النهي عن تمني الموت؛ لأن مقتضى هذا الحديث الإخبار عما يكون، وليس فيه تعرض لحكم شرعي"(٣)، وتمني الموت هو واقع الآن في بعض البلاد التي تتعرض للمحن والفتن، وشتى أنواع الأذى في الدين، والمال،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، (الحديث: ٦٦٩٨): ٢٦٠٤/٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (الحديث: ١٥٧): ٢٢٣٠/٤.

(٣) فيض القدير: المناوي: ٤١٨/٦.

والعرض، وفي الأحاديث السالفة إشارة إلى جواز تمني الموت تدينًا وللخوف من الفتنة، ولا ينافي ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال:" لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لابد فاعلًا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي"(١)؛ لأن ذلك خاص بما إذا كان التمني لأمر دنيوي أو مصيبة في النفس أو المال، أما الخوف على فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه بسبب الفتن وكثرتها، وتبديل أحكام الشريعة، وهذا كله لفساد الناس فلا يكره(٢)، وهذا موافق لما ورد من الدعاء في ذلك، فقد روى معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:"...اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأنت تغفر لي وترحمني؛ وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون..."(٣)، وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنهما قال:" لما أخذ الناس في الطعن على عثمان ﷺ؛ قام أبي من الليل ثم صلى ودعا وقال: اللهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، (الحديث:٥٣٤٧): ٢١٤٦/٥، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، (الحديث:٢٦٨٠): ٢٠٦٤/٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٧٥/١٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة ص، (الحديث: ٣٢٣٥): ٣٦٨/٥، وقال:" هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث: فقال هذا حديث حسن صحيح"، واللفظ له، وقال الألباني:"صحيح". ينظر: صحيح سنن الترمذي: له: ٣١٨/٣- ٣٢٠، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٢١٠٩): ٤٢٣/٣٦، قال الأرناؤوط في هامشه:" ضعيف لاضطرابه، ومداره على عبد الرحمن بن عائش، وقد اختُلف فيه عليه".

فما خرج ولا أصبح إلا بجنازته"(١)، (٢).

المبحث الثالث والعشرون: كثرة النساء وقلة الرجال

وردت أحاديث عدة في كثرة النساء وقلة الرجال؛ كما روى أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويشرب الخمر؛ ويذهب الرجال، وتبقى النساء؛ حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد"(٣)، وأيضًا روى أبو موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال:" ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء"(٤)، لعل العدد بعينه غير مراد هنا؛ بل أريد المبالغة في كثرة النساء

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه في كتاب معرفة الصحابة، (الحديث:٥٥٣٤): ٤٠٣/٣، وقال الذهبي في تلخيصه:" صحيح".

(٢) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٣١/١- ٣٢، ٥٥، ٥٧، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٧، ١٢٤، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٣٤٤/١- ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٤- ٣٦٥، ٥١٢/١- ٥١٧، ٥١٨- ٥٢٠، ٥٣٥، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١١٨، ١٢١- ١٢٢، ١٢٧- ١٣٠، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٨- ٢٩٩، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٥٢- ١٥٥، ١٩٨- ١٩٩، ٢٠٧- ٢٠٩، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ٩٩- ١٠٠، ١٧٩- ١٨٠، ٢٣٠- ٢٣٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (الحديث: ٢٦٧١): ٢٠٥٦/٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، (الحديث:١٣٤٨): ٥١٣/٢، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، (الحديث: ١٠١٢): ٧٠٠/٢.

بالنسبة للرجال؛ ويحتمل أن يجمع بينهما بأن الأربعين عدد من يلذن به؛ والخمسين عدد من يتبعه؛ وهو أعم من أنهن يلذن به فلا منافاة، أما قوله:" القيّم الواحد"؛ أي الذي يقوم بأمورهن؛ ويحتمل أن يكنى به عن اتباعهن له لطلب النكاح حلالًا أو حرامًا(١)، وهذا يدل على أنه ليس المراد في الخمسين حقيقة العدد؛ إنما المراد الكثرة، لاختلاف الروايات في العدد، وذلك مجازًا عن الكثرة، وقد اختلف العلماء في سبب هذه القلة والكثرة على قولين:

١- يرى القرطبي أن الرجال يقتلون في الحروب وتبقى نساؤهم أرامل، فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد الذي يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء، وقد كان هذا موجودًا أو قريبًا منه بالأندلس، فقد كان هناك من ربط نحوًا من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في حبل واحد مخافة سبي العدو حتى خرجوا من قرطبة التي احتلها الفرنجة(٢)، وهذا أيضًا حدث في زماننا؛ كما في الحروب العالمية الأولى والثانية وخاصة في ألمانيا، وكذلك في الحروب الإقليمية كما حدث في العراق وإيران، وغيرها من الحروب التي قلّ فيها الرجال وكثرت النساء، وهذا القول هو الأرجح، ويكون معنى يلذن يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة، أي أنه سيكون هو الذي سيعيلهن مثل: بناته، وأخواته، وعماته، وخالاته، وغيرهن من محارمه، أو أن خمسين امرأة يطمعن فيه لقلة الزواج بسبب قلة الرجال الذين سيتزوجون.

٢- ذهب الحافظ ابن حجر إلى أن حدوث ذلك علامة محضة تتقدم وقوع

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ٣٣٠/٩.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: ٧٦٢.

الساعة دون أن تكون لها صلة بسبب آخر، بل يقدر الله تعالى قلة المواليد من الذكور وكثرته من الإناث، وأن ذلك يقع في زمان الجهل الذي لا يبقى من يقول فيه: الله، الله، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلًا بالحكم الشرعي؛ لأنه وجد من بعض أمراء التركمان وغيرهم، مع دعواهم الإسلام، وكذلك من المغول الذين حكموا الهند(١)، وهذا مناسب في النظر لبقية أشراط الساعة المذكورة في الحديث الدالة على اختلال الأوضاع وعدم توازنها، ويمكن الجمع بين قول القرطبي وابن حجر رحمهما الله تعالى؛ فقد يحصل ذلك لسبب أو آخر، كما أن ظاهرة ارتفاع عدد النساء ملحوظة الآن في كثير من بقاع العالم، وخصوصًا البلدان التي تتعرض للحروب، ولكن الزيادة لم تصل للحد الذي ذكر في الأحاديث، ومعنى ذلك أنه سيكون في المستقبل، وإلى صدق هذه النبوءة وقرب تحققها؛ تشير الإحصاءات العالمية، أن نسبة الذكور حسب إحصاءات الأمم المتحدة عام (٢٠٠٢م) تصل إلى (٤٨%)، وتتوقع دائرة الإحصاءات الأمريكية أن تصل نسبة الذكور عام (٢١٠٠م) إلى (٣٨%) من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يؤكد أن ما أخبر به ﷺ في طريقه إلى التحقق(٢)، (٣).

المبحث الرابع والعشرون: حصار الدول الإسلامية

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٧٩/١.

(٢) دلائل النبوة: د.منقذ بن محمود السقار: ٥٠.

(٣) ينظر للتوسع: النهاية في الفتن والملاحم: ابن كثير: ٣٣/١- ٣٤، ١٩١، ١٩٥- ١٩٦، الإشاعة لأشراط الساعة: البرزنجي: ١١٦، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٤١٤/١- ٤١٥، ٣٤٤/٢- ٣٤٥، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٢٩٩- ٣٠٠، أشراط الساعة: يوسف الوابل: ١٩٧- ١٩٨، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٢٣- ١٢٤.

من أشراط الساعة في آخر الزمان استيلاء غير المسلمين من العجم والروم على البلاد الإسلامية، وحصارها اقتصاديًا، وسياسيًا، وعسكريًا، وحتى علميًا، فيمنعون عنها المال والغذاء؛ لإجبارها على الخضوع لإرادتها، وسيطرتها على البلاد والعباد، والتحكم في أرزاقهم ومعاشهم، وسلب ما عندهم من الخيرات، وهذا كله وقع وهو مستمر، فقد روى أبو هريرة ﷺ قال:" كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولا درهما؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائنًا يا أبا هريرة؟ قال: إي؛ والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق، قالوا: عم ذلك؟ قال: تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة، فيمنعون ما في أيديهم"(١)، وفي رواية ثانية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" منعت العراق درهمها وقفيزها(٢)، ومنعت الشام مديها(٣) ودينارها، ومنعت مصر إردبها(٤) ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم؛ شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه"(٥)، وفي رواية عن جابر بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر، (الحديث: ٣٠٠٩): ١١٦١/٣.

(٢) القفيز: يساوي (١٢) صاعًا أو ثمانية مكاكيك، والمكُّوك: صاع ونصف، ويساوي القفيز أيضًا (٣٣) لترًا، أو (١٢٨) رطلًا بغداديًا، كما يساوي ثلاث كيلجات، والكيلجة: نصف صاع. ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي: ١١٩/١.

(٣) المد: يساوي (١١/٣) رطلًا، أو (٦٧٥) غرام، أو (٦٨٨،٠) لترًا. ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي: ١١٩/١.

(٤) الإرْدَب المصري أو العربي: (٢٤) صاعًا، أو (٦٤) مَنَا، أو(١٢٨) رطلًا، أو (٦) وَيْبات، أو(٦٦) لترًا. ينظر الفقه الإسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي: ١١٩/١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، (الحديث:٢٨٩٦): ٢٢٢٠/٤.

عبد الله رضي الله عنهما أنه قال:" يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم؛ يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبل الروم، ثم سكت هنية، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا، لا يعده عددًا"(١)، وقد اختلف في معنى هذا الحديث الذي تعددت رواياته؛ وذلك على عدة أقوال:

١- معناه أنهم أي الروم والعجم يدخلون في الإسلام، فيسقط عنهم الخراج والجزية، وهذا قد وجد، ورجحه البيهقي.

٢- معناه أنهم يرجعون عن الطاعة، ولا يؤدون الخراج المضروب عليهم، لهذا قال:" وعدتم من حيث بدأتم"؛ أي: رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك، ورجح هذا القول ابن كثير، والخطابي.

٣- قيل: إشارة إلى استحكام غربة الإسلام ورجوعه إلى مقره الأول بالمدينة المنورة.

٤- قيل: لأنهم يرتدون عن الإسلام في آخر الزمان؛ فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها.

٥- قيل معناه: أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان؛ فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك.

٦- الأشهر أن معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان؛ فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد ظهر قديمًا في حملة التتار العجم على

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (الحديث: ٢٩١٣): ٢٢٣٤/٤.

العراق وبلاد الشام عندما أسقطوا الخلافة العباسية، ونهبوا البلاد وعاثوا فيها بالفساد، وقد ذكر ذلك الإمام النووي(١)، وهذا لا يعني أنه لن يتكرر، فقد تتكرر الأشراط أكثر من مرة كما حدث في تداعي الأمم على المسلمين، وكذلك احتلال الفرنجة (الصليبيين) لبلاد الشام، ثم احتلال الروم (الفرنسيين) لمصر، وبعض بلاد الشام، ثم تكرر احتلال الروم (الإنكليز والفرنسيين) لبلاد المسلمين، ومنها: العراق، وبلاد الشام، ومصر قبل وبعد سقوط الخلافة العثمانية، وذلك في نهاية القرن الثالث عشر الهجري والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ثم ظهر هذا الأمر بطريقة جديدة في بدايات القرن الخامس عشر الهجري؛ كما حدث بشكل واسع، من حصار العراق الشامل، ثم احتلاله من قبل الأمريكان الذين عاثوا فيه نهبًا وفسادًا، واحتلال أجزاء من بلاد الشام من قبل الروم (فلسطين وسوريا)، وهناك حصار جزئي على بعض الدول الإسلامية الأخرى، وهذا الذي حدث في زماننا وقبله بأزمان، من استيلاء الأعاجم من الإفرنج وغيرهم على هذه الأمصار المذكورة في الحديث، وانعكاس الأمور بسبب ذلك، بحيث صار أهل الذمة أقوى من المسلمين وأعظم شوكة، فامتنعوا من أحكام الإسلام التي كانت تجري عليهم من قبل، وانتقض حكم الخراج وغيره، ثم زاد الأمر شدة، فوضعت قوانين أعداء الله تعالى ونظمهم مكان الأحكام الشرعية، وألزموا بها من تحت أيديهم من المسلمين، والذين انفلتوا من أيدي المتغلبين عليهم ما زالوا على ما عهدوه من تحكيم القوانين وسنن أعداء الله تعالى، والتخلق بأخلاقهم الرذيلة، بل على شر مما عهدوه؛ كما لا يخفى على من له أدنى علم

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي: ٢٠/١٨، البداية والنهاية: ابن كثير: ٨/٣.

ومعرفة(١).

* * *

(١) ينظر للتوسع: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة: حمود التويجري: ٥٢٩/١- ٥٣١، صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة: مصطفى الشلبي: ١٧٦- ١٧٨، الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: د.عفاف حميد: ٣٠١- ٣٠٢، علامات الساعة من منظور عصري: د.محمد طعمة القضاة: ١٠٩- ١١٠.

خاتمة

الحمد لله تعالى الذي مَنَّ عليَّ إتمام بحث:" أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية"، وقد توصلت فيه إلى العديد من النتائج، أهمها ما يأتي:

١- أن تعريف الأشراط في الاصطلاح الشرعي:" هي العلامات التي تسبق يوم القيامة، وتدل على قدومها".

٢- أن تعريف الساعة في الاصطلاح الشرعي:" هي اسم للوقت الذي تصعق فيه العباد، والوقت الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، وسميت ساعة؛ لأنها تفجأ الناس في ساعة؛ فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأولى".

٣- أن التعريف المختار للسنة هو:" ما روي عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو سيرة، أو صفة خُلقية، أو خَلقية".

٤- لأشراط الساعة تسميات أخرى كالآيات، والعلامات، والأعلام، والأمارات، وجميع هذه المسميات تؤدي معنى واحدًا، وهو أن المقصود منها ما يتقدم قيام الساعة من أمور كأشراط لها.

٥- سميت أشراط الساعة بالصغرى؛ للتمييز بينها وبين أشراط الساعة الكبرى؛ كظهور المهدي، والدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، والخسوفات الثلاثة، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونحوها.

٦- أن الهدف من ظهور أشراط الساعة الصغرى تمييز المؤمن الملتزم من المسلم العاصي، أما الهدف من ظهور أشراطها الكبرى هو تمييز المؤمن من الكافر.

٧- تفردت السنة النبوية بذكر أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة،

ولم تذكر في القرآن الكريم؛ وهذا يدل على مكانتها، وأنها جاءت بأحكام، وأحداث، ونبوءات لم يشر إليها القرآن الكريم.

٨- عدد أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية (٢٤) شرطًا، وجدير بالذكر أن هذه الأعداد إجمالية؛ فمثلًا منها ما تضم أمورًا عديدة متشابهة؛ واحتسبتها واحدة، بينما احتسب بعض الباحثين عددًا أكثر؛ فمثلًا ظهور الشح، وغلبة التجارة، شرطين اثنين، وهكذا.

٩- لاحظت أن أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية أكثرها في دائرة الشر، وعددها (١٩)؛ كظهور الفتن وبيع الدين بعرض الدنيا، وظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة، واتباع سنن الأمم الماضية، وزخرفة ونقش البنيان، وزخرفة المساجد والتباهي فيها، وهجر المساجد وجعلها طرقًا وعدم الصلاة فيها، وظهور النساء الكاسيات العاريات، وإماتة السنن والتهاون بها وإحياء البدع والضلال، وظهور الفحش وقطع الرحم وسوء الجوار، وظهور المحرمات والفواحش واستحلالها، وظهور الزلازل والخسف والمسخ والقذف والريح الحمراء، وتغير الأحوال وانقلاب الموازين واختلالها وارتقاء السفلة، وضياع الأمانة وكتمان الحق، وكثرة أعوان الظلمة وهم الشُرط، والشح، وغربة الإسلام ونقض عراه، وتداعي الأمم على الأمة الإسلامية، وكثرة الجهل بالعلم الشرعي وقلة العلم به، وكثرة القتل وموت الفجأة وتمني الموت، وكثرة النساء وقلة الرجال، والحصار على الدول الإسلامية.

١٠- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية لا يوصف بالشر، وعددها (٥)؛ كولادة الأمة ربّتها أو ربّها، والتطاول في البنيان، وغلبة التجارة، ومشاركة المرأة فيها، وانتشار الكتابة والطباعة، وتقارب الزمان

والأسواق.

١١- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بدين الإسلام عامة؛ كظهور الفتن، وبيع الدين بعرض الدنيا، وظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة، وإماتة السنن والتهاون بها وإحياء البدع والضلال، وغربة الإسلام ونقض عراه.

١٢- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالعبادات، والمساجد خاصة؛ كزخرفة المساجد والتباهي فيها، وهجرها، وجعلها طرقًا وعدم الصلاة فيها.

١٣- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالأخلاق؛ كاتباع سنن الأمم الماضية، وولادة الأمة ربّتها أو ربّها، وظهور الفحش، وقطع الرحم، وسوء الجوار، وظهور المحرمات والفواحش واستحلالها، وضياع الأمانة، وكتمان الحق.

١٤- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالنساء؛ كولادة الأمة ربّتها أو ربّها، وظهور النساء الكاسيات العاريات، ومشاركة المرأة بالتجارة، وكثرة النساء وقلة الرجال.

١٥- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالثقافة والعلم؛ كانتشار الكتابة والطباعة، وكثرة الجهل بالعلم الشرعي وقلة العلم به.

١٦- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالجوانب السياسية؛ كتغير الأحوال وانقلاب الموازين واختلالها، وارتقاء السفلة، وكثرة أعوان الظلمة وهم الشُرط، وتداعي الأمم على الأمة الإسلامية.

١٧- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالجوانب المالية والاقتصادية؛ كالتطاول في البنيان، وزخرفة ونقش البنيان، وغلبة التجارة، ومشاركة المرأة فيها، والشح، وتقارب الزمان، والأسواق، والحصار على الدول الإسلامية.

١٨- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالكون والظواهر الطبيعية؛ كظهور الزلازل، والخسف، والمسخ، والقذف، والريح الحمراء.

١٩- بعض أشراط الساعة الصغرى الظاهرة والمستمرة في السنة النبوية متعلق بالموت؛ ككثرة الموت، وكثرة القتل، وموت الفجأة، وتمني الموت.

توصيات

١) التأكيد على الدور التربوي المهم للأسرة في تعليم الأبناء أشراط الساعة في السنة النبوية، وتنبيههم إلى أهمية الموضوع بالوسائل المناسبة لأعمارهم.

٢) العمل على نشر أحاديث أشراط الساعة، وتناولها بالدراسة في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، وفي قضايا البحث العلمي بمؤسسات التعليم، لما لها من أثر على حياة المسلم خاصة، والأمة الإسلامية عامة.

٣) تنظيم محاضرات وحلقات توعية، متصلة بموضوع أشراط الساعة في السنة النبوية، ومنهج علماء المسلمين في فهمها.

٤) نشر أحاديث أشراط الساعة في السنة النبوية بين الناس في وسائل الإعلام المختلفة؛ المقروءة، والمسموعة، والمرئية، عبر القنوات الفضائية، والمجلات والصحف والدوريات المحلية، ومواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والأقراص المدمجة (cd)، وبما يتناسب مع مستجدات الواقع؛ وربطه بالماضي والمستقبل؛ ليكون المسلمون على قدر كبير من الوعي والمسؤولية.

٥) تأسيس الكراسي العلمية في الجامعات والمعاهد والمراكز المتخصصة في أشراط الساعة في السنة النبوية.

وأخيرًا أسأل الله تعالى العظيم، رب العرش العظيم، أن يجعل عملي هذا صالحًا، لوجهه خالصًا، وأن يثيبني عليه، وينفع به المسلمين، وأن يجعلني من المتميزين بالخيرات في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، د.عبد المجيد محمود عبد المجيد، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري، ط١، (١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م)، مطبعة الرياض، الرياض.

٤) أحاديث المعازف: حجيتها وأثرها في الفقه الإسلامي، د.طارق محمد الطواري، مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد (٢٦)، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، جامعة الأزهر، القاهرة، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، العدد (١٢)، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، جامعة الأزهر، القاهرة.

٥) الأحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة، أبو بكر جابر الجزائري، ط١، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٦) الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن عبد الرسول الشهرزوري البرزنجي، تحقيق: موفق فوزي الجبر، ط٢، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، دار النمير، ودار الهجرة، دمشق.

٧) أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله الوابل، ط٣، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار ابن الجوزي، الدمام.

٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت.

٩) أكمل البيان في شرح حديث النجد قرن الشيطان، محمد أشرف سندهو، تحقيق: أبو عمر الدوسري.

١٠) أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ بين الحقيقة والافتراء، د.فهمي عبد الجليل محمود، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، المجلد (٤)، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ومجلة كلية الشريعة والقانون، العدد (١٨)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، جامعة الأزهر، دمنهور، مصر.

١١) أوضح البيان في الذب عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، د.أحمد عبد المحسن عبد الغفار، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، العدد (١١)، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر، ومجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد (٧)، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م)، والعدد (٩)، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

١٢) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار المعرفة، بيروت.

١٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٤) تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥) تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ت: ٧٤٨هـ)، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، بيت الأفكار الدولية، عمان.

١٧) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤١٧هـ، ١٩٩٧م)، دار الكتب

العلمية، بيروت.

١٨) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٩) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، (١٤١٨هـ، ١٩٩٨م)، دار الفكر المعاصر، دمشق.

٢٠) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، (١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢١) دلائل النبوة، د.منقذ بن محمود السقار، بحث منشور على موقع صيد الفوائد على الشبكة الدولية للمعلومات، www.saaid.net.

٢٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٢٣) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٤) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.

٢٥) سنن أحمد بن شعيب النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، سنن أحمد بن شعيب النسائي، (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٢٦) السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، عثمان بن سعيد المقرئ الداني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة،

الرياض.

٢٧) سنن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي, خالد السبع العلمي، ط١، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٨) سنن محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩) سياسة الإسلام في التعامل مع الفتن المعاصرة، مصطفى بن أحمد عسيري، ط١، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، دار القبس، الرياض.

٣٠) شذرات من علوم السنة، د.محمد الأحمدي أبو النور، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، نهضة مصر، القاهرة.

٣١)شرح سنن ابن ماجه، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كراتشي.

٣٢) شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط٢، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض.

٣٣)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٣٤) صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، مصطفى أبو النصر الشلبي، ط١، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، مكتبة السوادي، جدة.

٣٥) الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة: مصطفى العدوي، ط١، (١٤١٢هـ، ١٩٩١م)، دار الهجرة، الرياض.

٣٦) صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٧) صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٨) صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، (١٤١٩هـ، ١٩٩٨م)، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٩) صحيح محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، تحقيق: د.محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٠) صحيح محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ط٣، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، دار ابن كثير، دار اليمامة، بيروت.

٤١) صحيح مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢) علامات الساعة من منظور عصري، د.محمد طعمة القضاة، ط١، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، جامعة جرش، الأردن.

٤٣) علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح، ط١٩، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار العلم للملايين، بيروت.

٤٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥) الغرباء الأولون، د.سلمان بن فهد العودة، ط١، (١٤١٠هـ، ١٩٨٩م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

٤٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٤٧) الفتن في الآثار والسنن، جزّاع الشمّري، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)،

مكتبة الصحوة الإسلامية، حولي، الكويت.

٤٨) الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة، د.عفاف عبد الغفور حميد، ط١، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، دار عمار، عمّان.

٤٩) الفقه الإسلامي وأدلته، د.وهبة الزحيلي، ط٤، دار الفكر، دمشق.

٥٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، (ت: ١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ، ١٩٣٦م)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٥١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، ط٨، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢) القول المبين في الأشراط الصغرى ليوم الدين: استقصاء وشرحًا وبيانًا لوقوعها، أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٥٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٥٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، ط١، دار صادر، بيروت.

٥٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م)، دار الفكر، بيروت.

٥٦) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٧) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، (ت: ٣٨٥هـ)، بدون بيانات نشر.

٥٨) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، (ت: ١٤١٤هـ)، ط٣، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند.

٥٩) مسائل في الفتن، فيصل بن حيان آل صبحان، ط١، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م)، مؤسسة الريان، بيروت.

٦٠) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ومعه: تعليقات الذهبي في كتابه التلخيص، ط١، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦١) مسند أبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق: د.محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، (١٤٢٩هـ، ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة.

٦٢) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، (١٤١٦هـ، ١٩٩٥م)، دار الحديث، القاهرة.

٦٣) مسند أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله، ط١، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، مؤسسة علوم القرآن, بيروت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٦٤) مصباح الزجاجة، البوصيري، دار الجنان، بيروت.

٦٥) مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٦) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة.

٦٧) المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي, بيروت، دار عمار، عمان.

٦٨) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٦٩) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.

٧٠) معجم علوم الحديث النبوي، د.عبد الرحمن بن إبراهيم الخميسي، مكتبة العبيكان، الرياض.

٧١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون، (١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م)، اتحاد الكتاب العرب.

٧٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، عبد الرحمن السَّخاوي، ط١، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط٢، (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٤) الموطأ، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الإمارات العربية المتحدة.

٧٥) نبوءات نبي الإسلام في علامات الساعة الكبرى والصغرى، محمد فهمي الحمدان، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦) نهاية العالم: أشراط الساعة الصغرى والكبرى، د.محمد بن عبد الرحمن العريفي، ط٧، (١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، دار التدمرية، الرياض.

٧٧) النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة.

٧٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، المكتبة العلمية، بيروت.

٧٩) اليوم الآخر، القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى، د.عمر سليمان الأشقر، ط٣، (١٤١١هـ، ١٩٩١م)، دار النفائس، عمّان.

* * *

التعريف بالدكتور محمد عبد الرزاق أسود(١)

١- ولد في حلب بسوريا، وبها نشأ وتلقى تعليمه.

٢- حصل على الإجازة الجامعية من كلية الشريعة بجامعة دمشق.

٣- حصل على دبلوم في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بجامعة أم درمان الإسلامية في السودان.

٤- حصل على تمهيدي الماجستير والماجستير والدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

٥- حصل على دبلوم في الدراسات السياسية ودبلوم في الدراسات القانونية من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة.

٦- مدرب دولي في تطوير الذات، ومستشار أسري معتمد.

٧- له أكثر من ستين بحثًا، ودراسة، وتحقيقًا.

٨- شارك بأبحاثه العلمية في (٣١) مؤتمرًا علميًا دوليًا في العديد من الدول العربية والإسلامية؛ (سوريا، الأردن، السعودية، البحرين، الجزائر، تركيا، إندونيسيا، ماليزيا، باكستان، الهند).

٩- شارك بأكثر من خمسين دورة تدريبية علمية في المجال التعليمي والتربوي.

١٠- درّس في كليتي الشريعة والحقوق بجامعة حلب، ومعهد جمعية الفتح الإسلامي في دمشق سابقًا.

١١- أستاذ مشارك وعضو هيئة التدريس في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام حاليًا.

١٢- ناقش وأشرف على العديد من الرسائل العلمية الجامعية.

---

(١) للتواصل: جوال ٠٠٩٦٦٥٩٨٣٥٠٠٦٩ البريد الالكتروني: muhammadaswad@hotmail.com

١٣- حكّم العديد من بحوث المؤتمرات والترقيات والكتب والمجلات العلمية الدولية.

١٤- عضو رابطة العلماء السوريين، والعديد من الجمعيات العلمية والخيرية.

فهرس موضوعات البحث

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٣

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث:

(أشراط، الساعة، السنة) في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي ٩

المبحث الأول: ظهور الفتن وبيع الدين بعرض الدنيا..... ١٣

المبحث الثاني: ظهور الكذابين والدجالين ومدعي النبوة ١٧

المبحث الثالث: اتباع سنن الأمم الماضية..... ٢٠

المبحث الرابع: ولادة الأمة ربّتها أو ربّها..... ٢٢

المبحث الخامس: التطاول في البنيان ٢٥

المبحث السادس: زخرفة ونقش البنيان ٢٨

المبحث السابع: زخرفة المساجد والتباهي فيها..... ٢٩

المبحث الثامن: هجر المساجد وجعلها طرقًا وعدم الصلاة فيها..... ٣١

المبحث التاسع: ظهور النساء الكاسيات العاريات..... ٣٣

المبحث العاشر: إماتة السنن والتهاون بها وإحياء البدع والضلال ٣٥

المبحث الحادي عشر: ظهور الفحش وقطع الرحم وسوء الجوار..... ٣٩

المبحث الثاني عشر: ظهور المحرمات والفواحش واستحلالها ٤١

المبحث الثالث عشر: ظهور الزلازل والخسف والمسخ والقذف والريح الحمراء ٤٦

المبحث الرابع عشر: تغير الأحوال وانقلاب الموازين واختلالها وارتقاء السفلة ٥٦

المبحث الخامس عشر: في ضياع الأمانة وكتمان الحق..... ٦٨

المبحث السادس عشر: كثرة أعوان الظلمة وهم الشُرط..... ٧٥

المبحث السابع عشر: غلبة التجارة ومشاركة المرأة فيها والشح..... ٧٨
المبحث الثامن عشر: غربة الإسلام ونقض عراه..... ٨٠
المبحث التاسع عشر: تداعي الأمم على الأمة الإسلامية ٨٧
المبحث العشرون: انتشار الكتابة والطباعة وكثرة الجهل بالعلم الشرعي
وقلة العلم به..... ٩٠
المبحث الحادي والعشرون: تقارب الزمان والأسواق ٩٤
المبحث الثاني والعشرون: كثرة القتل وموت الفجأة وتمني الموت ٩٩
المبحث الثالث والعشرون: كثرة النساء وقلة الرجال ١٠٤
المبحث الرابع والعشرون: حصار الدول الإسلامية ١٠٦
خاتمة..... ١١٠
توصيات..... ١١٣
فهرس المصادر والمراجع ١١٤
فهرس موضوعات البحث..... ١٢٣

* * *